الدكتور عبد اللطيف السعيد يوسف الخميسي

المدرس في كلية الآداب - قسم اللغة العربية

جامعة دمياط

أصول الكلام الدارج

دراسة في العلاقة

بين مستويي الكلام

العامّيّ والفصيح

مـقـــدّمـــــة

وقفت كثيرا أثناء بحثي في المعجمات ،و درسي لكتب التنقية اللغوية (لحْن العامّة) – علي الصلات الوثيقة بين الكثير ممّا تحتوي عليه وبين كلام الناس عبر العصور ، و إن بدا ما نسمعه اليومَ بعيدا عن العربية الفصحي ، بل ربّما ظنّناه لا ينتمي إليها . وقد خلصت من ذلك إلي كون اللغويين قد سجلوا مفردات اللغة عبر العصور المتوالية ،و الأطوار التي مرّت بها .

وهذا ما قد يدفع القول بأنهم لم يهتموا بما بعد عصر الاستشهاد . فهم – في الكتب التي اعتنت باللحن ، بل في المعجمات نفسها – قد اعْتنَوْا بما تكلمت به العامّة ومن إليهم ؛ فتحوّلوا به عن الأداء النطقي الفصيح، أو جعلوه ذا دلالة تخالف ما عُرف له عند الفصحاء.ونستطيع القول : إننا إذا تتبّعنا ذلك في المعجمات و كتب اللحن يمكننا أن نعتمد علي ما نخرج به من ذلك لنضع - علي أساس منه – الأطلس اللغوى لمفردات العربية ، التي انتابها التطور في شتي البلاد التي تكلمت،أو تتكلم بها.ولقد كان هؤلاء اللغويون يهدفون إلي ثبات الأبنية والصيغ، والدلالات ،علي ما عُرفت عليه لدي العرب ، الذين أخذوا عنهم في عصر الاستشهاد.و هم محقون؛ إذ إنهم بذلك يُبقون علي اللغة وسيلةً للتواصل فيما بين الناس،علي توالي العصور، واختلاف البقاع وتباعدها ، فضلا عن إرادتهم – دائماً – خدمة العربية لكونها لغة القرآن الكريم ،وهو هدف لا يمكن أن ينفصم عن الهدف الأول.

علي أنا نلحظ أن بعضا ممّا اعترض عليه اللغويون من المفردات ، أو ممّا آلت إليه دلالات بعضها قد غدا ضمن اللغة الأدبية ، أو لغة الكتابة الرسمية ؛ وذلك لسيرورته علي أفواه الأدباء و أقلامهم .(١)

و لا شك أن المفردات تمثل مادة اللغة ، التي تتضامّ إلي بعضها في نظام ، تكفُله قواعدها ،التي هي أسس تعالُق أجزاء الكلام ببعضها ؛ ليكون لدينا رسالة لغوية ، تتنوع حسب الغرض منها. وقد تخففت اللغة الشائعة بين الناس ، في الحياة اليومية ، من مراعاة هذه القواعد و الأسس التي تُراعَي في لغة الكتابة و الأدب . ويبدو هذا جليًا في جانب الإعراب أكثرَ من غيره ، و إن كان يمكننا أن نلمس بعضاً من آثاره علي أفواه الناس علي أيامنا .(٢) علي أنه قد جاء التخفف من الإعراب ، ونطق أواخر الكلمات ، حالَ اتصال أواخرها، بالإسكان ، أو مع عدم إلحاقها علامات الإعراب المتعارَف عليها في اللغة الفصحي المشترَكة .(٣) لكن هذا الصنيع ليس هو المعروف في الفصحي ، أو ليس الغالب فيها ، علي الأقلّ .

لقد خصصت هذا البحث لتناول العلاقة الوثيقة بين المفردات في لغة عامّتنا اليومَ، وما نجده في المعجمات و كتب اللغة و الأدب ناطقا بأنه أصل لها ، تطوّرت

عنه علي ألسنة الناس،بدافع التخفف في النطق،أو لحدوث التداخل بين الكلمات، وتأثر بعض أصواتها ببعض . و قد يقع هذا التأثر داخل الكلمة الواحدة .وربّما كان الخطأ السمعي من وراء هذا التطور . و لقد يقع الخطأ في ربط الكلمة بمعنًي لم يعرفه لها أصحاب اللغة ، الذين بهم اقتُدي ، وعليهم اتُكل ،عندما أخذ اللغويون يدوّنونها .علي أن هذا الخطأ الذي يلحق الكلمة ، أو التطور الذي تصير إليه – يظل ملازمًا لها في الأفواه . و الذى يقرأ كتب اللحن يجد كثيرا من المفردات ،التي توقف عندها أصحاب هذه الكتب ، ما يزال عامّتنا ينطقون به علي غير ما أراد أصحاب هذه الكتب أن تُنطق به . كذلك نجد عامّتنا يفهمون لبعض الكلمات من المعاني ، تلك التي أراد هؤلاء القدماء أن لا تُفهَم لها . لكنّا لا نشكّ في إفادة الأدباء والكتاب قديمًا وحديثًا من هذه الجهود التي بذلها أصحاب كتب اللحن هؤلاء .

ولعل من الصواب القول :إن جهود أصحاب هذه الكتب قد نجحت في محاصرة اللحن ، وجعله مقصورًا علي مجموعات من المفردات ، ربّما لم تتجاوزها إلي غيرها .و ربما كانت تمثل قدرا كبيرا ممّا يتحدث به العامة ، ومن إليهم . وبقي أن تدرس هذه المفردات وغيرها ؛ لنقف علي الحلقات التي تربط حاضرنا اللغوى بماضيه ، في جانب من هذا وذاك. وهذا الجانب هو اللغة السيّارة علي ألسنة الناس في حياتهم اليومية ، بعيدًا عن اللغة الفصحي المشترَكة . و كثيرًا ما سنجد وثاقة العلاقة بين هذه وتلك .

إن دراستنا لمفردات هذه اللغة السيّارة علي الألسنة ، أو اللغة العامّيّة ، يُراد منها تبيُّن كيفية تنقلها عبر فترات الزمن . كما يراد أيضا أن نعرف أوجه الشبه والاختلاف بين الواقع اللغوي وما كانت عليه اللغة فيما مضي . إننا بذلك كله نعمل علي توثيق الروابط بين الحالين ، ونحول دون أن تكون ثمّة موانع تعوق دون تحقق هذا الغرض . وإن شئنا الدقة ، فإننا نعمل علي عدم الأنحدار بالمستوي اللغوي ما أمكن . ذلك لأن العصر الذي نحن فيه يوفر لنا من وسائل الاتصال والتثقيف ما يقضي علي تباعد المسافات ، ويتجاوز بنا أزمنة انعزال الجهات والأقطار عن بعضها . وهذان سببان من أسباب التنوع اللهجي ، واختصاص البلاد ، أو البقاع ، بملامح ، أو سمات لغوية مختلفة . هذا بالإضافة إلي أسباب أخري ، أشرنا إلي بعضها فيما سبق. ولسنا نريد التقليل من دور اللغة الشائعة علي الألسنة ،أو مَحْوها[٤] ؛ لأن ذلك ليس من طبائع الأشياء . ولكنّا نريد أن نُوثق العُرَى بين طبقات تاريخ مفردات العربية ، و نسمو بها علي ألسنة العامة و الخاصة معًا . فأمّا العامة فانّا نُسْمعهم صحيح المفردات التي يخطئون في نطقها ما أمكن ، ونستعمل في لغة الكتابة ذلك القدر المشترك بين المستويين العامي والفصيح ، وان كان قد غلب عليه

المستوي الأول . ويكون ذلك حسبما يتناسب مع الموقف ، ومجال الحديث . و أمّا الخاصّة فإنّا نوقفهم علي صحيح المفردات و المعاني ، و أسباب التغير في كلّ منها؛ ليُتَجَنّب ذلك ما أمكن . و لا يقولنّ أحد : إننا بذلك نحاول أن نمنع ما لا يمكن منعه ، وهو التطور أو التغير الذي جرَت العادة أن يصيب اللغات ؛ فذلك ما لا سبيل إليه . لكن فرق كبير بين هذا التطور اللاإرادي ، الذي يكون بعد بذل الجهد في المحافظة علي سلامة اللغة من أن يكون أثره فيها بالغًا – وبين أن ندع الأخطاء تنتاب مفرداتها و أبنيتها ، و أنماط تراكيبها ، ثم نعلّل ذلك بالتطور ،وبأنه أمرٌ لا مناص منه !

إن المكانة التي تتمتع بها اللغة أساس حقيقي ، يفرق بينها وبين اللهجة.[٥] و يلزم اللغة المشتركة دائما أن تتميز من كلام العامة ؛ لأنه يجعلها " تصير ،بالتدريج، كثيفة رتيبة ، لا لون لها . و عندئذ تتميز بالخصائص السلبية ؛ أي بالضعف و السوقية ".[٦]

و سوف أتناول في هذا البحث ما يلي:

١- الاهتمام بكلام العامّة في المعجمات ، و كتب اللغة.

٢- أعرض لنماذج من استعمال كلام العامة ، أو بعض أصوله في لغة الكتابة و الأدب .

٣- أتناول كتاب "القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب" ، لمحمد بن أبي السرور الصدّيق الشافعي (١٠٨٧هـ) – بالتحليل و الدرس ؛ و ذلك لكونه وثيقة لغوية لما كان كثير الاستعمال علي ألسن المصريين ، زمنَ تأليفه ، و إن يكن - علي ما أرجّح – غير مستوعب لكل ما كان يتكلم به المصريون.

٤- أعرض – بعدئذٍ – لمظاهر التطور في كلام العامة. و قد تناولت تحت ذلك:

(ا)الهمز ، و ما يعرض له من التخفيف ، أو التخلص منه ، علي ألسنة العامة.

و قد عوّلت في هذه الجزئية علي دراسة الأبواب المتعلقة بالموضوع في كتاب "إصلاح المنطق" لابن السّكّيت. و اهتممت بما عرض له من المفردات التي يستعملها عامّتنا.

(ب) الإبدال اللغوي: و قد درست تحت هذه الجزئية طائفة غير قليلة من المفردات الدائرة علي ألسنة عامّتنا ، ووجدته في "القول المقتضب" ، أو وجدت أصوله في معجمات اللغة.

(ج) القلب المكاني: تناولت نماذج من أثره في تحريف الكلمات العامية .

(د) تآكل الكلمات و تداخلها. و هو ما يؤدّي إلي نشأة مفردات جديدة ، قد لا يُفطن إلي أصلها إلا بالربط بينها و بين غيرها ممّا لعله لم يعد مستعملا.

ثم إني انتهيت إلي اتّسام كلام العامّة بعدة سمات ، ترجع إلي مراعاة السهولة واليسر في النطق - غالبا - و تميز المستوي اللغوي ، و الحرص علي وضوح معني المفردة من كيفية النطق ، بل علي حذة هذا الوضوح أحيانًا.

٥- ثم عرضت لقضية العامية و علاقتها بالفصحي ؛ لأنتهي إلي تقرير الوجه الصحيح الذي ينبغي أن يرتبط المستويان ببعضهما ، علي أساس منه. و كان ذلك تحت عنوان :"العامّيّة بين الغضّ من شأنها والارتقاء بمستواها."

الاهتمام بكلام العامّة في المعجمات و كتب اللغــة

دوّن المعجميون و غيرهم كثيرا من تلك الكلمات السيّارة علي ألسنة العــوام ، والمُتجَنّبة في الكتابات الأدبية الآن ،علي الأقــلّ . وكثيراً ما كنت أجد أن التطــور (أو التحريف)قد أصابها ؛ ليجعلها متلائمة مع المستوي اللغوى العامّيّ ، أوالدارج . ولعل الذين وهَنوا ما جاء في " الجمهرة " لابن دريد ،قد اعتمدوا علي كون كثير منها يتضح فيه هذا الملمح ،وإن كان من الممكن أن تكون أقرب إلي المستوي الفصيح ممّا صارت إليه بعد زمن ابن دُرَيْد ، ناهيك عما وصلت إليه في زمننا .[٧] و قد تشكك ابن دريد نفسه في كثير مما رواه من مفردات اللغة [٨] واعتمد السيوطي علي تعقيباته المفيدة لذلك في دفاعه عنه ،وردّه لتهمة من رماه بوضع اللغة ،ونسبته إلي العرب ما لم يقولوا .[٩] وفي رأيي أن اللغويين اهتموا ، من قديم ، بتسجيل كلام النــاس ، علــي اخــتلاف أصــقاعهم و مســتوياتهم ، و إن غلــب علــيهم الإشــارة إلــي الأصقاع دون المستويات . ونستطيع أن نري ذلك في معجم " العين " للخليل بن أحمد . ويستطيع المرء أن يتبين كون بعض مفرداته من لغة العامة ، أو قريبة منها، وذلك بعد أن نقارنــه بمــا يتحدث بــه العامــة الآن ؛ لنقف علــي مــا أصــابه مــن تغير صوتي ، أبعده عن شكله المدوّن في المعجم .هذا فضلاً عما أشار الخليل نفسه إلي أنه مما تتكلم به العامة . ولعله يرجع إلي هذا القدر من مفردات اللغة بعض ما انتُقد لأجله معجم " العين " .[١٠]

علي أنّ الخليل لم يكن ليرتضي كلام العامة . والمتبادر أنه لا يقبل أن يُستَعمَل في غير المستوي الذي يشيع فيه . ويتضح ذلك من مثل ما يلي :

- نجده لا يقبل أن يقال : " إن فلانا أدّي للأمانة " . قائلا إنهم بقولهم هذا " قد لهجوا بالخطأ " . فالصحيح أن يقال : "فلان آدَي للأمانة من فلان " . وقال عن التركيب الأول : "وهذا في النحو غير جائز ".[١١]
- ويقول : "وتقول آتيت فلانا علي أمره مؤاتاةً . و لا تقول : واتَيْته ، إلا في لغة قبيحة لليمن . و أهل اليمن يقولون : واتيْت ، وواسَيْت ، و واكلت ،و نحو ذلك ، و وامَرْت ؛ من : أمَرْت . وإنما يجعلونها واوا علي تخفيف الهمزة في : يُؤاكل ،و يؤامر ، و نحو ذلك ".[١٢]

ولئن كان ذلك متعلقا بالتراكيب وصياغتها – إنه لذو دلالة علي الاهتمام بإبقاء المستوي الفصيح للغة بعيدا – في كل عناصره المكوّنة له – عن أن تتسرّب إليه بعض سمات المستوي الشائع علي الألسن .[١٣]

و لعل " الجَوْهَريّ " قد أراد أن يضمّن معجمه " تاج اللغة و صِحَاح العربية" ما يستعمل في الفصحى وحدَها ، وما يقرب أن يكون كذلك ، بعيدًا عن كلام العامّة . وقد كان معجمه محورًا لدراسات كثيرة ، أدارها أصحابها حوله. وقد اتخذت هذه الدراسات شكل المعجم أيضًا ؛ فنال الصحاح بهذا ما ناله معجم العين ، بل ربما فاقه.[١٤] ولا بدّ من الإشارة إلي اعتماد الجوهري علي كتابي العين ، والجمهرة .

وكتاب " التكملة والذيل و الصلة " لمحمد بن الحسن الصغاني (ت ٦٥٠هـ) هو أحد المعجمات التي وُضعت للاستدراك علي الجوهري . لكنه – فيما يبدو – لم يقتصر في جمعه المفردات ، علي ما هو شائع الاستعمال في المستوي الفصيح وحدَه . و لعله كان يري أنّ الصحة لا تعني الفصيح دون غيره ، بل تشمل كل ما صحّ أن الناس يتكلمون به ،علي تنوع مستوياتهم . ويؤكد ذلك أنا نجد لديه الكثير من الكلمات ، التي سرعان ما نعرف أنها شائعة الاستعمال في دارج الكلام ، و ذلك إذا ما قارناها بما ينطق به العامّة اليوم . وربما غُيّرت بعض أصوات هذه الكلمات لتتناسب مع هذا المستوي من الكلام . و لعل مثل هذه الكلمات هي التي نظر إليها الأستاذ أحمد عبد الغفور العطار، محقق الصحاح،علي أنها فصيحة ، لكنّ الناس يتحاشَوْن استعمالها لظنّهم أنها عامّيّة . و قد عدّها بالمئات .[١٥]

وبعد عصر الجوهري جاء الزمخشري ؛ فاعتني بلغة الأدب ؛فصنع معجمًا خاصًا بمفرداتها ، هو : " أساس البلاغة " .[١٦] وممّا لاحظته في مراجعاتي لهذا المعجم عدم احتفاله كثيرًا بالرّجَز في الاستشهاد . ولعل ذلك راجع - في جانب منه - إلي كون الرجز أقل في المستوي الفنّيّ من بقية بحور الشعر .[١٧] وفي رأيي أن بعض ذلك يرجع إلي عدم قوّة مفرداته ، وركاكتها أحيانا ؛ لكونها تقرُب من أن تكون من الكلام الشائع الاستعمال ، أو ما يقابل ما ندعوه بالعامّيّ الآن.[١٨]

ولا تخطيء العين كثيرًا من الإشارات ، التي ترد في المعجمات ، إلي ما يشيع علي ألسن العامة من أداء خاطئ لبعض الصيغ ، أو نُطْق بغير الأفصح منها ، أو فهم غير صحيح للمعاني .[١٩] و هكذا يتكامل دور المعجمات مع دور

كتب اللحن . وهذا ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) يعتمد علي كتاب ابن السِّكّيت (ت ٢٤٥هـ) : " إصلاح المنطق " في إعداده معجمه " مقاييس اللغة " . كذلك اعتمد عليه الأزهريّ (ت ٣٧٠ هـ) أيضًا في معجمه " تهذيب اللغة " .[٢٠] و "إصلاح المنطق " أحد المصنّفات في "لحْن العامّة " . وقد جعله بعضهم أساس كتاب " أدب الكاتب " لابن قُتَيْبة(ت٢٧٦هـ)الذي لعل شهرته فاقت غيره ،علي ما يبدو، حتي عُدَّ " أحد الكتب الأساسية الأولي لمبدإ التنقية اللغوية. و لا يزال يدرّس في العالم العربي حتي اليوم بعناية و اجتهاد ؛ لغزارة مادته".[٢١]

ولئن اختُلف في المراد بالعامة ، الذين وُضِعت هذه الكتب لتُعدّد أخطاءهم : أهم الدّهْماء و سُقاط الناس وخُشارتهم ، أم هم جماعات ذات مستوًي أعلي من هؤلاء ،لم يبلُغوا مستوي الخاصة – فإننا نستطيع القول : إن في مادّة هذه الكتب ما يتلقظ به أصحاب كِلا المستويَيْن .[٢٢] علي أنّا يمكننا أن نقول مطمئنّين : إن هذه الكتب قد اعتنت كثيرًا بمثل ما ينطق به عامّتنا ، ممّا هو خاصٌّ بهم وحدَهم.و نجد ما يشهد لذلك في كتاب " لحن العَوامّ " للزُّبَيْديّ (ت٣٧٩ هـ).[٢٣] ولابدّ من التنبيه إلي رسالة الحريريّ (ت ٥١٦ هـ) في هذا المجال : " دُرّة الغوّاص في أوهام الخوّاصّ " . فلقد وقفها – علي ما يبدو من عنوانها – علي ما يتلقظ به الخواصّ مما لا يصِحُّ في اللغة . ونحن نجد فيها ما يمكننا سماعه من عوامّنا الآن،أو ما نستطيع أن نعقد الصلة بينه وبين ما يتلقظون به.[٢٤] فالحريري – إذن – كان مَعْنِيًّا بأن يَسْمو الخواص بمفردات لغتهم عمّا تعتاده الألسنة ، وتلوكه أفواه الناس ، في مجالات الحياة اليومية . وهذا هو شأن أصحاب الكتب الأخري المؤلفة في " لحن العامّة " .[٢٥] ويبدو أنهم قد كانوا- قديمًا – متنبهين إلي اختصاص العامة بطريقتهم في الكلام ، و أن غيرهم من الخاصة يحاكيهم بمثل كلامهم ، و لا يعيب عليهم. قال ابن فارس : " إن الناس لم يزالوا يلحنون ، و يتلاحنون فيما يخاطب (به) بعضهم بعضا ؛ اتقاء الخروج علي عادة العامة ؛ فلا يعيب ذلك من ينصفهم من الخاصة. و إنما العيب علي من غلط من جهة اللغة فيما يغير به حكم الشريعة".[٢٦]

وقد استشهد ابن جنّي بقول العامة للسلطان : "أعْدِنِي علي فلان "، يقصدون : أعِنّي عليه . و قد جاء مضارع الفعل في قول الشاعر :

ولقد أضاء لك الطريقُ ، و أنْهَجتْ

سُبُلُ المسالك ، و الهدي يُعْدِي

و قد ذكر أنّ الفعل (أعْدَيْتُه) علي كذا ، غير (آدَيْتُه) ، وإن كانا بمعني التقوية و الإعانة . فكلٌّ منهما أصل ، لا أنّ أحدهما مقلوب الآخر. [٢٧] وأشار ابن جنّي إلي أنّ الفعل في (آدَيْتُه) من الأداة التي يتقوّي بها الصانع علي عمله . وهذه من(الأدين)التي هي مثنّي في معني(يَدَيْن).ونحن نسمع العامة يقولون:(الإدين - إدِيه) بدلاً من (اليدين – يديه). ولعله من الواضح وثاقة العلاقة بين الصيغتين؛ فالصيغة الثانية قد استُبدِلت فيها الهمزة بالياء . وتحقيق الهمز و تخفيفه (تسهيله) مسلكان لغويان فصيحان معروفان . و قد تكون الصيغة المهموزة (أدَيْن) أقل شيوعًا ، أو أقل فصاحة . وقد ذكرها ابن السِّكّيت من قبل في كتابه " إصلاح المنطق ". [٢٨]

ونجد ابن جنّي يستشهد بقول الشاعر أبي الصَّقر :

أريني جوادًا مات هُزْلاً لأنّني أري ما تَرَيْنَ ، أو بخيلا مخلّدًا

علي أن الهمزة في (لأنّني) أُبدِلت بالعيْن ؛ إذ المراد :" لعلّني ". [٢٩]

وربما سمعنا من العوام قولهم : (لئلا كِدا ما ينفعش) !

وهكذا نجد أنفسنا أمام اختيار العوام للنطق بالهمزة تارةً ، وترك لهذا النطق تارةً أخري . وهم ، في كلا الحالين ، يسلكون مسلكا لغويًّا ، عرفه العرب . غاية ما في الأمر أنّ هذا المسلك قد يكون قليل الشيوع ، علي ما رأينا .

ولقد صنّف حازم القرطاجنّيّ (ت٦٨٤هـ) المفردات من حيث استعمال الناس لها ، سواءٌ أكانوا عامّةً أم خاصّةً ، إلي أقسام تسعة كما يلي :

١- ما استعملته العرب دون المُحْدَثين استعمالاً كثيرًا في الأشعار وغيرها ؛ فهو لأجل ذلك حسن فصيح .

٢- ما استعملته العرب قليلاً ، ولم يحسُن تأليفه ،ولا صيغته ؛ "فهذا لا يحسن إيراده".

٣- ما استعملته العرب ، وبخاصّة المحدَثون دون العامة ؛"فهذا حسن جدًّا؛ لأنه خَلَص من حُوشيّة العرب ، وابتذال العامة ".

٤- ما كثر في كلام العرب ، وخاصّة المحدَثين و عامّتهم ، ولم يكثر في ألسنة العامّة ؛ فلا بأس به .

٥- ما كان كذلك ، و لكنه كثُر في ألسنة العامّة، و كان لذلك المعني استغنت به الخاصّة عن هذا ؛ " فهذا يقبح استعماله لابتذاله ".

٦- أن يكون ذلك الاسم كثيرًا عند الخاصّة و العامّة ، وليس له اسمٌ آخر ، وليست العامة أحْوج إلي ذكره من الخاصّة ، و لم يكن من الأشياء التي هي أمسّ بأهل المِهَن؛فهذا لا يقْبُح،ولا يُعَدّ مبتَذلاً،مثل لفظ :الرأس،و العين .

٧- أن يكون كما ذكرناه ، إلا أن حاجة العامة له أكثر ؛ فهو كثير الدَوَران بينهم ، كما هو شأن ما يتصل بالصنائع ؛ فهو مبتَذلٌ .

٨- أن تكون الكلمة كثيرة الاستعمال عند العرب والمحدثين لمعنًي و قد استعملها بعض العرب نادرًا لمعنًي آخر ؛فيجب أن يُجتَنب هذا أيضًا.

٩- أن يكون العرب و العامة استعملوها دون الخاصّة ،وكان استعمال العامة لها من غير تغيير . فاستعمالها علي ما نطقت به العرب ليس مبتذلا ، وعلي التغيير قبيح مبتذل .

قال حازم بعدئذٍ : " ثم اعلم أن الابتذال في الألفاظ ، و ما تدلّ عليه ، ليس وصفًا ذاتيًا ، ولا عرَضًا لازمًا ، بل لاحقًا من اللواحق المتعلقة بالاستعمال في زمان دون زمان ، وصُقع دون صُقع ".(٣٠)

و يبدو مما سبق أنّ من الضروري أن تتميز لغة الخاصة ، التي تحمل الأدب والفكر ، عمّا يجري علي ألسنة الناس في الحياة اليوميّة . وعلي ذلك ينبغي أن لا تضم هذه اللغة مفردات مبتذلة ، شائعة علي ألسنة العامة . و يستثني من ذلك تلك التي تكون مشتركة بين الناس جميعًا ، سواء أكانوا من العامة أم من المثقفين و الأدباء . علي أنه يجب تجنب مثل ذلك المشترك من الألفاظ ،إذا ما توافرت تلك الألفاظ الأخري ، التي يمكن استبدالها بها ؛ لأنها لا تجري علي أفواه العامة .

وينبغي أن ينظر إلي ذلك علي أنه ليس من باب التعالي و الترفع ، وإنما هو – قبل كل شيء – تقوية للغة ، و حفاظ عليها ؛ بثّ روح الجدّة والقوة في مفرداتها ، و تراكيبها . ولا شكّ أن ذلك يبعث دائمًا علي الاهتمام بهذه المادة اللغوية الجيدة ، وما تحمله من معان و أفكار . وهذا هو شأن اللغات الأخري أيضا ؛ إذ ليست العربية بدْعًا في ذلك . و قد كان (هكسلي) يري أن لا تستخدم اللغة العامية ، أو الدارجة ، في الإنجليزية ؛ لتكون لغة الأدب أو كتابة العلوم ؛ لأن ذلك يعني تغيير اللغة والكتابة، كلما طرأ التغيّر علي هذه اللغة . ويُذكّر أنّ اليابانيين قد جرّبوا ذلك ؛ فرأوا أنهم في حاجة إلي التغيير المستمرّ لملاحقة تطور اللغة علي الألسنة . كذلك حدث أن ضعُفت اللغة المكتوبة ،و كانت غير مؤهلة لأن تؤدّي المهمّة المنوطة بها.(٣١)

من أصول المفردات الدارجة في لغة الأدب

يمكن للمرء أن يقف علي كثير مما ينطق به العامة ، قد جاء علي ألسنة الشعراء و الكتاب قديما . و قد يكون الإبدال لحق ببعضه علي ألسنة الناس . إلا أن اشتمال اللغة الفصحي علي أصوله شاهدٌ علي الوشائج التي تربط بين المستويين : الفصيح والعاميّ ؛ فيترتب علي ذلك أن يكون ثمّة قدرٌ من مادة اللغة الأدبية ، يتداوله الناس في لغتهم اليومية ؛ مما يدفع الفصحاء و الأدباء إلي استعمال غيره . كذلك يَجِدُ اللغويون للعمل علي إصلاح المُفسَد و المُزال عن أصله؛ليَحسُن استعماله و يَصِحَ ، و إن يكن في لغة الكتابة العاديّة ،لا في لغة الأدباء ، وذلك إذا ما كان هذا المُفسَد والمُزَال – أو الملحون – قد صار من الابتذال بمكان . وفي هذا ما فيه من إثراء اللغة والإبقاء علي حيويّتها . و فيه الكثير من العمل علي الربط بين أبنائها ، علي اختلاف اللهجات و تباعد الأصقاع . ففي تجديد انتخاب المفردات المستعملة في لغة الأدب ، اختيار من المُعْجَم العامّ للغة . و هذا المعجم تتفاوت نسبة شيوع مفرداته بين أبناء اللغة ، علي اختلاف أوطانهم و تباعدها . و بذلك يجد كلٌّ فيما يقرأ ، أو يسمع،بعضًا من المفردات التي تشيع في محيطه اللغويّ . وهذا يكون أدعي للتآلف ، و أبْعَد من الانعزال اللغوي . و قد لا تظهر هذه المسألة الآن بوضوح ، في لغة الكتابة والأدب . علي أنها – فيما أحسَب – كانت نصب أعين الأوّلين ، الذين اكتملت اللغة العربية الفصحى علي ألسنتهم .[٣٢]و جاء القرآن الكريم ؛ فزادت به قوّةً واكتمالاً بما تضمّنَتْه من المفردات اللهجية المختارة ،[٣٣]و أنماط الأداء اللهجيّ الفصيح ، كالهمز و التخفيف ، و الإدغام والفك ، و الإبدال .[٣٤]و لا بُدَّ من الإشارة إلي أنّ أنماط الأداء هذه نلمح آثارها واضحة علي ما تطوّرت إليه لغة العامّة فيما بعد . و هو ما سنفصّل القول فيه . إلا أن هذا التطور ، في لغة العامة ، قد جعل المفردات فيها ذات مستوي أدني ، تحتاج معه إلي تقويم اللغويين و إصلاحهم ؛ لتكون ضمن لغة الكتابة . هذا إن لم يَحُل ابتذالها دون ذلك .

و هذه ألفاظ ممّا سمعته في محيطي اللغوي ، علي ألسنة العامّة ، وقفت عليها أو علي أصولها لدي بعض أدبائنا في القديم . وربما كان بعضها غير شائع الاستعمال.ولعل لغة الكتاب والأدباء ، في عصرنا ، قد خلت منها ، أو من بعضها ، علي الأقلّ . لكنّ ذلك لا يمنع أنها تستعمل علي ألسنة الناس ، في

بعض الجهات ، و لا يمنع – أيضًا- أن تكون ضمن معجم الأدباء و الكتّاب في غير قُطرنا .

- من ذلك كلمة (العِيص) . و هي تعني عند العامّة : أصول الناس ،أو أنسابهم ، أو الجماعات من ذوي القربي . و قد جاءت الكلمة في شعر الحُطَيْئة ؛ إذ يقول :

لا بدّ ،في الحِدّ، أن نلقي حَفيظتهم يوم اللقاء،و عِيصًا،دونَهم،أشِبًا[٣٥]

- ويُسمع تعبير العامّة عن الكثرة بقولهم :"عَدَد الدّبَا ".و(الدّبَا)هو الجراد.وقد قال الحُطَيْئة :

و أنتم أولي حِنْتم مع البَقل و الدّبا فطار، و هذا شخصُكم غير طائر[٣٦]

- و هم يستعملون اسم المفعول من الفعل " يَشعف " ؛ فيقولون : (فلان مشعوف) . و يعنون أنّه مُفزَّعٌ متلهّف علي شيء . و قد ورد الفعل في شعر الحُطَيئة ؛ إذ يقول :

فلا هندَ إلا أنْ تَذكر ما خَلا تَقادُمَ عهْدٍ ، و التّذكر بَشْعَف[٣٧]

- وهم يستعملون صيغة(ائفعل)للدلالة علي قبول أثر الفعل؛فيقولون:(اتظِلِم ، أو اظّلِم ؛ بالإدغام)[٣٨]. و يقولون : (إدّفِن). وهي صيغة صحيحة ، لولا ما صاحب الإدغام من الكسر ، الذي نعلله بأنه ميل إلي المماثلة لحركة همزة الوصل في أول الفعل . و هو تجسيد لما تميل إليه الحركات في تطورها .[٣٩] و قد جاءت صيغة (ادّفن) في شعر الحطيئة ، أيضًا ؛ إذ يقول :

قد غيّر الدهر من بعدي معارفها و الرّيحُ ؛فادّفنت فيها مغانيها[٤٠]

- و نسمع دائمًا وصف الأمر ، أو الشيء بأنه (عادِيّ) ؛ أي أنّه مألوف غير مستَغرَب ، أو مستنكَر . ونجد الكلمة في شعر الحطيئة ؛ إذ يقول :

فإنّ الصّفَا العادِيّ لن تستطيعَه فأقصِرْ؛ولم يَلحَقْ من الشرّ آخرُهْ

و تفسير اللفظة في البيت ، بالقديم ، لا يَبْعُد بمعناها عمّا يستعملها فيه العامّة وغيرهم .[٤١]

- و العامّة يقولون : (فلان خِلا بفلان). و يحذّر أحدهم الآخر من أنْ (يخْلا)فلان به ؛ أي يخدعه ، أو يُفوّت عليه فرصة ، أو يضيّع منه كسْبًا .

ونجد في شعر زهير وصفه ناقته بأنها ليست خِلاءً ؛ أي أنها لا تبرك، أو تحرن ؛ فلا تبرَح مكانها . يقول :

بآزرَة الفقارَة ، لم يَخُنْها قِطافٌ في الرِّكاب ، ولا خِلاءُ(٤٢)

ويتضح أن العامّة يخففون الهمزة . وهو ما يميلون إليه دائما في الكلمات المهموزة . و قد انضمّ إلي ذلك كسرهم أوّل الفعل المضارع ، علي ما يشيع في نطقهم .وهو تجسيد لتَلتَلة بَهْرَاء ، المعروفة قديمًا . وقد ذكر الدكتور رمضان عبد التوّاب أنَ كسر حرف المضارعة هو الأصل ، و أنه هو ما يربط العربية بأخواتها السّاميّات ، وأنه اختُير في أول بعض الأفعال ، وعُدّ من ملامح الفصاحة ، كما في أول الفعل : "إِخَال".(٤٣)

- و هم يقولون : (هِيهْ) ؛ إذا ما استزادوا المتحدث إليهم ، أو أظهروا إنصاتهم إليه . و قد جاءت في حديث النبي ، صلي الله عليه وسلم ،وهو يستمع إلي الخنساء منشدةً شعرها له . وجاءت في بيت لعمرو بن شَأس ، يقول فيه :

دِيارَ ابنة السّعدِيّ ، هِيهِ تكلّمي بدافقة الحَوْمان ، فالسّفح من رَمَمْ(٤٤)

- و العامّة يقولون لمن يسرع في الكلام بما لا يفيد ، أو بما يضره هو أو غيره: (اِندَلق). و الفعل مستعمل في القديم.(٤٥)

وجاء اسم الفاعل وصفًا للفرس بالسرعة في شعر مجنون بني عامر ؛إذ يقول :

و هل أنقضَنّ الدّهرَ أفنان لِمّتي علي لاحِق المتنَيْن، مُنْدَلِق الوَخْد(٤٦)

- وهم يقولون : (فلان يلويني) إذا أرادوا أنه يُماطل ، أو يعْنُف في المعاملة ، ولا يسرع في الوفاء بما عليه .

وقد جاء الفعل أيضًا في شعر مجنون بني عامر ؛ إذ يقول :

من عاذري من غريم غير ذي عُسُر

يَأبَى ؛ فيَمْطُلني دَيْني ، و يَلْوِيني(٤٧)

- و هم يستعملون كلمة (الهَبْر) و (الهَبْرَة)(٤٨) ؛ للدلالة علي السّلب ، أو أخذ المال الكثير ، أو أخْذه بغير وجه حق خاصّة . والكلمة الثانية دالة علي المرّة الواحدة من فعل ذلك ، كما هو واضحٌ .

والكلمة الأولي (المصدر) جاءت في بيت لمجنون بني عامر ، أيضًا ؛ إذ يقول : و عندي لكم جِصْنٌ حصينٌ، و صارمٌ

حُسامٌ ، إذا أعملتُه أحْسن الهَبْرَا[٤٩]

و دلالة اللفظة علي القطع لا تبعد بها عن معناها الذي يستعملها له العامّة . بل إن هذه الدلالة هي أصل هذا المعني .

- ويقولون:(المكان مَدْهُوس)؛بمعني أنّ معتاديه كثيرون يَطرُقونه دائمًا .و قد يصفون الطريق بالمشتق ، أو ما شابهه .

و في شعر الحَكَم الخُضْريّ (أموي):

قد بتُّ أرْقُبُه ، وبات مُصَعِّدًا نَهْضَ المُقدّر في الدّهَاس الموقَر

فلعل العامة أخذوا صيغة مفعول من (دهس) .[٥٠] و اللفظة في البيت ، يُراد بها: المكان السّهل اللّيّن ، الذي ليس برمل ولا تراب و لا طين ،لا يُنبت شجرًا ، وتغيب فيه القوائم ، ويثقُل فيه المشي . لكن هذه الدلالة ضُيِّقت ؛فاقتُصِر منها علي معني السهولة واللين ، اللذيْن يدفعان إلي كثرة السير في الطريق ، أو الموضع المعين .

- وهم يقولون : فلان (هيفرسْني) أو (بيفرسْني)[٥١] " و الفرْس أصله : دَقُّ العُنُق ،ثم صُيِّر كل قتل فرْسًا ".[٥٢] وممّا استشهد به سيبويْه قول الشاعر مالك بن خويلد الخُنَاعي :

يا ميُّ ، لا يُعجز الأيام ذو حَيَدٍ في حَوْمة الموت رَزّامٌ ، وفرّاسُ

يَحْمي الصّريمة،أحْدان الرجال له صَيْدٌ ، و مجترئ ،بالليل همّاسُ[٥٣]

علي أن العامة لا يعنون بالفعل معني القتل ، علي الأرجح ، وإنما يقصدون به الدلالة علي الإغاظة الشديدة ، والمبالغة في إغضاب الآخر . وثمّة علاقة بين القتل وهذين المعنيين ؛ إذ في كل منهما جلبٌ للأذى ، وإن كان القتل هو النهاية في ذلك .

- وهم يستعملون الفعل (نَتَشَ) ، و يقولون في مضارعه (ينْتِش).[٥٤] وقد ورد الفعل في إحدي رسائل أبي العلاء ؛ إذ يقول : " ... كان الدليل علي بطلان قوله – وقوع المشاهدة لِجنس السّباع ، وجوارح الطير التي خلقها الله – سبحانه – علي صنيعته ، لا تصلح إلا لنَتْش اللحوم ، وفسْخها، وتمزيق الحيوانات ، وأكلها ."[٥٥]

- والعامة يقولون : (دُخْت) من كذا ، أو (مِشيِيت لغاية ما دُخْت) .

و الفعل مما استعمله الشعراء في القديم . قال ابن مَيّادة[٥٦] :

لنا المُلك ، إلا أنّ شيئًا تَعُدّه قريشٌ ،و لو شئنا لداخت رقابُها[٥٧]

و عامتنا يستعملون الفعل للدلالة علي معني التعب و الإرهاق . و هو معني يقرُب من معني الذلة المراد في البيت . ويلاحَظ أن المستخدَم الآن في الكتابة إنما هو الرباعي " دَوّخ " ؛ إذ يقال مثلا : دوّخ العدوَّ .

وقد توقف ابن الأنبا ري(ت ٣٣٢هـ) قديمًا عند قولهم : " قد دوّخت البلاد " ؛ فذكر أن معناه : التذليل . " فالمراد بالتعبير أنها حدث لها هذا التذليل بسبب كثرة وطئه إياها " . ثم أشار إلي أنه يقال : قد دُخت لهذا الأمر ؛ أي : ذَلَلتُ له .قال المسَيّب بن عَلَس :

فدُوخوا عبيدًا لأربابكم وإن ساءكم ذاكمُ فاغضَبوا[٥٨]

- ونسمع من العامة كلمتي : (الزّرْب – الكنيف) .ولعلهما كانتا مما يستعمله أهل القرى ، فيما مضي . وأولاهما تستعمل للدلالة علي الساتر من أعواد الغاب والبوُص ، يصنعونه ؛ ليحيطوا به موضعًا معينًا.

وقد جاءت الكلمتان في رجز لكعب بن مالك ، يقول فيه :

لم يَغْذُها مُدٌّ و لا نَصيف لكن غذاها الحَنظَلُ النَّقِيف

و مُذْقَةٌ كطُرَّة الخَنيف تَبيت بين الزّرْب و الكَنِيف[٥٩]

وتوسع العامة في استعمالهم للكلمتين ؛ لتكونا بمعنى الساتر مطلقا ، لا بمعنى حظيرة الإبل والماشية ، الذي استعملتا له في شعر كعب بن مالك السابق . ثم استعملوا الثانية – الكنيف – لموضع قضاء الحاجة . وربما كان في ذلك مراعاة لارتباطه بالخَلاء ، أو المطمئنّ من الأرض ، حيث الزراعة والرعي .

- و يقول العامة : فلان (مُقرِف). ويقول أحدهم : عندي (قرف)من كذا؛بإبدال القاف همزة،علي ما هو شائع في العامية.ويقال أيضًا: أنا(أرْفان)و(اتئرفت) بالهمز،بدلا من القاف فيهما،علي ما رأينا.[٦٠]

و قد استخدم أبو دُلامة كلمة (القرف) بمعني : التهمة ، في شعره ، حيث يقول :

حتى إذا نَهَد الثديان ، وامتلأ منها ، وخِيفت علي الإسراف و القرَف

وكانت العرب تميّز خيولها الأصيلة عن غيرها من الخيول المُقرِفة؛أى ذات الأب غير العربي. فكأن (الاقراف) هنا تهمة ، أو نقص . و هذا قريب ممّا يلحَق الشاكى من (القرَف) ، أو (الأرف) ، كما ينطق العامّة .[٦٢]

- و ربما سمعنا من بعضهم الدعوة إلى ترك (المِناهدة)[٦٣] ، يريدون : ترْك الجدال ، أو ما يتعب الآخر نفسيًا ، أو بدنيًا . وقد ذكر ابن أبى السرور استخدام أهل مصر الفعل الرباعى من هذا المصدر بهذا المعنى . وذكر أنه صحيح ، وأنّ المناهدة هي المناهضة في الحرب،والمساهمة بالأصابع .[٦٤]

وقد جاء الفعل (ناهد) دالاً على المناهضة في الحرب في العبارة التالية ، فى "تاريخ الطبرى" ؛ إذ فيه : " ... فأجابوه إلي ذلك[٦٥]؛ فصلوا الظهر ، ثم ناهدوهم؛ فاقتتلوا قتالاً شديدًا ".[٦٦]

و الفعل يعنى المبادأة والإثارة ، أو التهييج نحو أمرٍ ما . وهو ما يعنيه العوام في قولهم : (بلاش مِناهدة)!

- ونسمع العامة يقولون : (هِيلا هُبْ) ، عند رفع شيء ، أو حَمْل طفل لتدليله . ونقف علي ما يمكن أن يكون أصلاً للتركيب عند بعض الشعراء الأمويين . قال مسكين الدارمى فى امرأة لم ترضَ زوجًا :

أصبحت تُرزَق من شَحْم الذُرى وتَخَالُ اللـوْم دُرًّا يُنْتَهَــبْ

لا تَلُمْها ؛ إنها مـن نسْـوَة ضَحِيات ، مِلحُها فوق الرُكَبْ

كشَمُوس الخيْل ، يبدو شغْبهـا كلما قيل لها :هــالِ و هَــبِ[٦٧]

- ونسمع دائما قول العامة فى الإنكار على من يعمل على التحكم فى غيره ،أو إقحام نفسه في شئون أحدهم :(ما لـه و ما لـى ؟ أو : مـا لهم و مـا لـى ؟). وهما تركيبان استفهاميّان لا غبار عليهما . و الأداء وحدَه هو الذى يفصل بين كونهما من الفصيح ، أو العامي.[٦٨] علـى أنـه قد يحول دون استخدامهما فـى الكتابة تداولهما على ألسنة العامة .

وقد وجدنا القدماء يستخدمون التركيب الأول ، على ما جاء فى بيت المتنبي:

ما أجدرَ الأيـام و الليالي   بأن تقول : ما له و ما لي؟!

و قد استحسن ابن الأثير مجيء (لي) هنا ؛ لسبقها بالتركيب (ما له)؛ " فجاء الكلام علي نسق واحد . و لو جاءت لفظة (لي) ها هنا كما جاءت في البيت (و هو للمتنبي أيضا): تمسي الأمانيّ صَرْعي دون مبلغه   فما يقول لشيء : ليت ذلك لـي ! - لكانت منقطعة عن النظير و الشبيه ؛ فكان يعلوها الضعف و الركّة". (٦٩)

- وهم يحذفون نون (مِن) الجارّة ؛ فيقولون - مثلاً - : (جيت(٧٠) مِ الجامع، مِ السو ق ... إلخ) .

وجاء ذلك الحذف فى بيت للأعشى ، يقول فيه :

و كأنَّ الخمر المُدامة مِ الإسـ   فنط ممزوجـة بـماء زُلال(٧١)

و جاء هذا الحذف فى (عن) أيضًا . و ورد في بعضْ القراءات الشاذّة .(٧٢)

- و نسمع من يقول : (شُفت الأمَرّين)(٧٣). و قد ذكر الخليل فى "العيْن" أنه يُقال : " لقِيت منه الأمَرّيْن ".(٧٤)
- ونسمعهم يقولون:(فلان ما لـه طعْم ، أو اللى بيعمِله ما لُشْ طعم).ونحن نجد ابن الأنبارى قد ذكر هذا التركيب ، بصيغته الفصيحة، التي لاشك أنها أصل لما أوردناه عن العامة . و هذه الصيغة الفصيحة هي : "ليس لما يفعل فلان طعم". وجاء ذلك ضمن تناوله لكلام الناس الشائع على ألسنتهم ، فى أيامـه. و قد عقب عليها بقولـه: " ليس لـه لـدّة و لا منزلـة فـي القلب. قال الشاعر:

و أغتبق الماء القَراحَ،و أجْتزي   إذا الزّاد أمسي للمُزَلّج ذا طعم

معناه:ذا منزلة من القلب.و المزلّج:البخيل. قال الشاعر:

ألا مَنْ لنفس لا تموت؛فينقضي   شَقاها،و لا تحيا حياة لها طعْمُ؟

معناه:لها حلاوة و منزلة من القلب". (٧٥)

- والعامـة يجلبون هـاء السَّكْت للوقوف عليها ، بعد يـاء المتكلم ، المسبوقة بحرف الجر (على) . وربّما مَطل بعض الرّيفيّين حركة كسر يـاء المتكلم ؛ لتتولد منها ياء ؛ فيقول : (عَلَيِّيهْ) .

و قد جاء ذلك في شعر لأبى جُندُب ، أخي أبى خِرَاش الهُذلى ، يقول فيه :

إنّي امرُؤٌ أبكي علي جاريَهْ أبكي علي الكعبيّ و الكعبيَهْ
و لو هلكـت بـكيا علـيَّهْ كانا مكان الثوْب من حَقْوَيَهْ(٧٦)

لعل فيما مضى من المفردات و التراكيب – على قلة هذه الأخيرة – ما يشهد علي قِدَم الصلة بين ما يتكلم به العامة ولغة الخاصة ، أو لغة الأدب .فهم يستخدمون الكلمة نفسها ، أو يشتقون منها الصيغة المعينة ، على مثال ما في فصيح الكلام . وقد يتخذون لكلامهم صيغة فعلية بعينها . علي أن الأكثر شيوعًا ذلك التغيير الذي يُدخلونه على الأصوات . وهو ما سنخصه بمزيد بحث ، فيما بعد ، بالإضافة إلي غيره من الظواهر اللغوية ، التي يمكن ملاحظتها في كلام العامة .و لا يفوتنا ذلك التحرك بدلالة المفردات ، التي عرضنا لها . على أنها لا تكاد تبعد عما عرفت به فى القديم ؛ بل تكون دائمًا بسبب من ذلك القديم .

و تكاد معظم هذه الكلمات السابقة أن تكون بعيدة عن مجال الاستخدام الأدبي ، أو مجال الكتابة ؛ إما لغرابتها ، و إما لابتذالها . ويمكن أن نقرّر أنّ ثمّة قدرًا من المفردات،يظل بين أن يرتفع و يسمو؛ ليكون بين ما يستعمل في الكتابة الرسمية ،أو الأدبية – و أن يخفُت و يخبو ؛ ليكون ضمن مفردات لغة المشافهة ، وكلام الناس الدارج . وقد كان البلاغيون و النقاد على معرفة تامة بما بين مستويات اللغة من صلات ، و تبادل للتأثير و التأثر ، أو الأخذ والعطاء . ولأجل ذلك نجدهم يتوقفون عند الإغراب فى استعمال الألفاظ ؛ فينتقدونه ، تمامًا كما ينتقدون محاكاة العامة فى تعبيراتهم ، أو ألفاظهم . فاللفظة الشعرية ينبغى أن تكون قوية ، لا أن تكون فاترة أو باردة ، كما يقول أبو هلال العسكرى . ولأجل ذلك لا تُرضيه المفردات التى استخدمها أبو العَتَاهِيَة فى شعره ؛ لأن الشعر " أحسنه ما تلاءم نسجه و لم يَسْخُف ، و حسن لفظه، ولم يَهْجُن ، و لم يستعمل فيه الغليظ من الكلام ؛ فيكون جلفا بغيضا، و لا السوقيّ من الألفاظ ؛ فيكون مهلهَلا دونًا ".(٧٧) و هو يستجيد استعمال الكلام الواضح مع قوته ؛ فهو عنده الجَزْل والمختار. و ما ذاك إلا لأن العامة تعرفه إذا سمعته . لكنها لا تستعمله في محاوراتها .(٧٨) و هو نفس ما أشار إليه ابن الأثير عندما جعل من شرائط الكتابة أن تكون :"غير مُخْلولقة بكثرة الاستعمال" لكنها ليست " ألفاظا غريبة ؛فإن ذلك عيب فاحش. بل تكون الألفاظ المستعملة مسبوكة سبكا غريبا ، يظن السامع أنها غير ما في أيدي الناس.و هناك معتَرَك الفصاحة، الذي تظهر فيه الخواطر براعتها ، و الأقلام شجاعتها ، كما قال البحتري:

باللفظ يقرب فهمه في بعده عنًا ، و يبعُد نَيْله في قربه"(٧٩)

ولعل الإشارة السابقة إلي الغريب تصدُق علي كثير مما احتواه كتاب"الغريب المصنف"لأبي عبيد القاسم بن سلام(ت ٢٢٤ هـ).وكثير مما ذكره من المفردات نستطيع أن نعقد الصلة بينه و بين ما نسمع من أفواه الناس في كلامهم الشائع بينهم.

و ربما كان بعض الغريب الذى عرض له ابن الأنبارى في رسالة له في هذا المجال مما يصدق عليه ذلك . وهو يفسّره مستشهدًا بلغة الأدب . ويذكر ضمنه بعض ما يستعمله العامة وحدهم ، ككلمة (الشُوار) مثلاً ؛ بمعنى : المتاع من الأثاث والفُرُش و غيرها ممّا يُعَدّ للعروس.(٨٠)

والراجح أن أغلب هذه المفردات الغريبة ما كانت تشيع في الكتابة السيارة ، ولا كان استعمالها يكثر في لغة الأدباء . ولأجل ذلك كانت في حاجة لأن يُعتَنى بها ، وتعرض لها تصانيف العلماء . و مع توالى الأيام رُوِيَت بعض هذه المفردات في بعض الجهات ؛ لتشيع فيها مستعملة علي ألسن العامة ، باقية كما كانت قديمًا ، أو مغيَّرة الأصوات ، وهو الأكثر .

و نرى في الكتب التي عرضت للحن إشارة إلى مفردات ، على أنها مما يتكلم به العامة ، لكنّا نجدها قد غَدَت ضمن معجم الكُتّاب ، و بين ما يتحدث به المثقفون . و هو ما لعل بعض الباحثين يحمدونه ؛ لأنه يزيل بعضًا من أسفهم الشديد ؛ لما يرونه من شدّة نُفرة المهتمّين بالفصحى من استعمال ما يشيع علي ألسنة العامة ،وإن كان هناك ما يشهد لصحّته لغويًا.(٨١) و يمكن أن نضرب مثالا علي ذلك بكلمة (البَوْتَقة) الشائع استعمالها الآن في لغة الكتابة ، فضلا عن استخدامها في لغة العلم للدلالة على الإناء ،توضع فيه العناصر ، أو الموادّ لتتفاعل معًا . و هي كلمة معَرَّبة ، فى القديم ، تدل على ما يُذيب فيه الصائغ الذهب أو الفضة . وقد كان اللغويون يحرصون علي أن تُنطق بما يقرب من لفظها الأصلى :(بوتة). ويبدو أن التعريب لم يغير فيها إلا الصوت الثالث؛ليصير طاءً؛فتكون الكلمة :(بوطة)(٨٢).

ابن أبي السرور و كلام العامة في كتابه

"القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من كلام العرب"

يعد كتاب:" القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب " لمحمد بن السرور الصدّيق الشافعي (ت١٠٨٧هـ) مصدرا مهما لكونه يكشف لنا عن قدم سيرورة الكثير من المفردات و التعبيرات علي ألسنة المصريين ، لا في زمن ابن أبي السرور وحده ، بل في زمن الشيخ يوسف المغربي نفسه ، صاحب الكتاب، الذي وصل إلينا مختصرا في صورة " القول المقتضب ".

وكان الشيخ يوسف المغربي قد وضع كتاباً عن لغة المصريين في زمنه (القرن الحادي عشر الهجري) سمّاه :" دفع الإصر عن كلام أهل مصر " .وهو وثيقة لغوية مهمة ،سجل فيها الشيخ كثيراً من ظواهر العامية المصرية في زمنه . وكان المغربي قد سمّي كتابه أول الأمر :" الفضل العام وقاموس العوامّ" . و أراد به أن"يهذب ما يقع من عوام أهل مصر بأن يرجعه إلي الصواب ".وقد اعتمد في عمله علي القاموس والعباب ،و إن كان قد أكثر من الرجوع إلي القاموس . وقد رتب كتابه علي ترتيبه [٨٣]

و كتاب الشيخ المغربي مفيد في استنباط كثير من الأحكام عن لغة مصر في القرن الحادي عشر الهجري ، وعوامل تطورها . وهو يظهر ما بذله من جهد في التعليل لهذا التطور . و قد أصاب في بعض ممّا ذهب إليه في ذلك ، ولم يوفق في الكثير منه لجهله بأصل الكلمة في كثير من الأحيان.[٨٤]

و قد قارنت بين ما احتوي عليه من المفردات مما سمعته من محيطي اللغوي ، وما سمعته من أفواه العامة ممّا رأيته وثيق الصلة به ، صوتيا ، ومعنويا. و رجعت إلي المدوّن عن هذه المفردات في المعجمات.

فإذا ما حللنا مادته اللغوية ، وجدناها تشتمل علي ما يأتي :

١- الفصيح. و من أمثلته : خبّأ – رثا – تتكأكأ ،بمعني التأخر في السير . وهو غير مستعمل في لغة مثقفينا . وكثيرا ما يضرب به المثل بين دارسي اللغة علي غرابة المفردات ، ويوردونها في قصة النحوي القديم

عيسي بن عمر (ت١٤٥،أو١٤٩هـ) عندما خاطب الناس ، وقد اجتمعوا حوله بعد سقوطه عن دابّته في السوق.(بغية الوعاة ، للسيوطي ٦٧٥).

ومن هذه المفردات الفصيحة : لمَي – جَعْبَة [٨٥]؛ لوعاء السهام- جُبَة – جَلَبَ – حَبَاب . و هو ما يطفو فوق الماء عند صبّه ، أو كل مائع . و قد جاءت الكلمة في شعر امرئ القيس ؛ إذ يقول :

سموت إليها بعد ما نام أهلها سموّ حَبَاب الماء حالاً علي حال[٨٦]

و جاءت اللفظة أيضا في معلقة طرفة ؛ إذ يقول :

يشق حباب الماء حَيْزومها بها كما قسم التُّرْبَ المُفايل باليد[٨٧]

و من هذه المفردات الفصيحة : حَسْبُك ، أي : استغنيت بك – حَوْبة[٨٨]- دَأبه – فتّشَ .

إنه يذكر مفردات كثيرة ، تندرج تحت هذا القسم من أقسام المفردات ، التي تتقاسم مادّة الكتاب مع مفردات أخري ، يغلب أن يستعملها العوامّ كما هي ، أو مغيَّرًا في أصواتها ، أو معانيها. وقد أحصيت من مفردات هذا القسم مائتين و إحدي عشرة كلمة في ثلثي الكتاب.

و منها مفردات تشبه "تتكأكأ" السابقة ، أو هي مما يستعمل في عربية التراث ، علي ما نجد فيما يلي:

يلهث – خِداج ، و هو الشيء الضعيف – عِلْج – عاج – عَنِت – أشْقح ، و هو الأشقر، و كانوا يصفون البُسْر(التمر قبل نضجه) بذلك - جُناح - رَدَاح - سَوْدُد – صِنْديد – عُرُنْد ، و هو الصُّلب. و أصله:عُرُدّ . و قال :"معناه:إذا كان شديدا قويا" – عُنُد ؛ للفرس المعدّ للجري ، أو التامّ الخَلْق الشديد - نَضَّد – يستوفز. قال:"يقولون:فلان يستوفز في قعدته،إذا استعجل". قال :الوَفز،و الوَفز: العجَلة. و المعني الانتصاب بلا اطمئنان- عَسَّ – طُنْفسة (للبساط) – طَيْس:العدد الكثير- لعَس:سواد مستحسن في الشفة – سَمَيْدَع:السيد الشريف السخيّ،و الشجاع،و الخفيف في حوائجه. و قد سمعت هذه الكلمة من بعض العامة ، و قد صارت ياؤها كسرة طويلة ، و كسرت السين لأجلها.

وكما تلقظت العامة باللفظة السابقة ، تلفظت أيضا بمضارع الفعل "عَسّ". علي أنهم يكسرون حرف المضارعة و فاء الفعل ؛ للمماثلة.

و لئن لم تكن مثل هذه المفردات الفصيحة ، من كلام الخواص – و الراجح كونها منه - فإنها تشهد بمدي بقاء مفردات الفصحي في أفواه عوام المصريين . ولقد يكون هؤلاء قد تأثروا بنطق الخواص . و ربما صحّ أن نستشهد ببعضها علي التطور اللغوي الذي لحقها في استعمال الناس ؛ ممّا جعل المغربي ، وابن أبي السرور من بعده ، يقفان عنده.

و توقف ابن أبي السرور عند كلمة "وَجْبة" ؛ ذاكرا أنها الأكلة في اليوم و الليلة . ثم عقب بأن لذلك أصلاً في كتب اللغة.[٨٩]

و يبدو من مراجعة "اللسان" أن اللفظة ربّما كانت تستعمل للإشارة إلي الاقتصار علي تناول الطعام مرّةً واحدة في اليوم ،ثم صارت تُلحَق ، فيما بعد ، بمرات تناول الطعام المتعددة في اليوم .و هي مأخوذة من الجذر الذي يعني الإلزام و الاستحقاق. جاء في "اللسان"عن ثعلب:"الوجْبة:أكلة في اليوم إلي مثلها

من الغد...". و عنه أيضا:"وجَب الرجلُ؛بالتخفيف:أكل أكلة في اليوم ". وعن اللحياني:"وجّب فلان نفسه و عياله،و فرسه:،أي:عوّدهم أكلة واحدة في النهار. و أوْجَب هو:إذا كان يأكل مَرةً. التهذيب:فلان يأكل كلَّ يوم وجبة؛أي أكلة واحدة". و عن أبي زيد:"وجَّب فلان عياله توجيبا :إذا جعل قوتهم كل يوم وجبة؛أي أكلة واحدة". (٩٠)

و ممّا ذكره ابن أبي السرور ممّا يستعمله الخاصّة،أو المثقفون و مَن إليهم – علي أيامنا – كلمة "مُلحِد". (٩١) علي أنّ ابن أبي السرور لم يكن يهتمّ دائما بنسبة اللفظ إلي أصحاب الطبقة التي تستعمله،و إن فعل ذلك أحيانًا. (٩٢)

و هو يذكر ،مثلا،كلمة"هَبْوَة"التي هي واحدة "الهَبْو"اسمًا للجمع،بمعنى الغبار الذي يُرَي في الضوء . (٩٣) و هي ممّا يشترك في النطق به العامّة و الخاصّة. و قد جاءت اللفظة في شعر ابن هانئ الأندلسي؛إذ يقول :

لا يَطّبيه غيرُ كَبّةِ مَعْرَكٍ   أو هَبْوةٌ مِن مَأقِطٍ ومَغَار (٩٤)

وممّا يشترك فيه العامّة و المثقفون استعمالهم كلمة "وَرْطة".و قد ذكر ابن أبي السرور أن المصريين يستعملونها. (٩٥) و هي مما تكلم به أهل العراقُ قديما ،علي ما سجّله المُفضّل بن سلمة في كتابه "الفاخر"،الذي عرض فيه لما شاع بين عامّة الناس من أمثال رآها في حاجة إلي التفسير. و تعني الكلمة عند المتلفظين بها،علي أيامنا:المَأزق،أو الأمر الصعب .و هو ما كانت تعنيه قديمًا.و قد ذكر المفضل بن سلمة الفعل (تَورَّط)الذي نجده مستعملا في لغة الكتابة و الحديث،كما نسمعه من العامّة أيضًا،مراداً به :الوقوع في المعضلة المعيّنة ،أو الانزلاق إلي ما لا تُحمدُ عُقباه .و أشار المفضل إلي الأصل الحسّيّ المأخوذة منه هذه الدلالة العامة،بقوله:"و قال بعضهم: الوَرطة :الوَحْلُ و الرَّدْغة ،يقع فيها الغنم ،و لا تقدر علي التخلص.يقال :تورّطت الغنم :إذا وقعت في الورطة ".قال :"ثم ضُرب مثلا لكل شدّة ،وقع فيها الإنسان .و قال الأصمعي :الورطة:أهْويّة منصوبة تكون في الجبل ، يشُقُّ علي من وقع فيها الخروج منها.يقال :تورّطت الماشية:إذا كانت ترعي في الجبل؛فوقعت في الوَرْطة ،و لم يمكنها الخروج.و أنشد لطفيل ،يصف إبلاً:

تُهابُ الطريقَ السهلَ،تحسِب أنّه   وُعُورٌ ورَاطٌ ،و هْوَ بيْداءُ بَلقع" (٩٦)

- كذلك نجده يورد بعض المفردات ،التي يفهم أن الناس قد أخذتها من أصول قديمة ،منها المعَرَّب .

و من ذلك ما نجده عند ذكره كلمة (دَيْدَب). يقول :"قال المُجِدّي – يعني مجدّ ن الفيْروزآبادي - :و يقولون :دَيْدِبْ،و ذلك عند لعب الشطرنج. قال المجدّي: و :الرّقيب." (٩٧) و "الدَيْدَبُون" ذات صلة بـ"الدَدِ"،أو الدّدَ،بمعنى اللّهو و اللعب. و اء في الحديث الشريف:"ما أنا من دَدٍ و لا الدَّدُ مني". (٩٨)و لفظة "؛بمعنى الحارس، و الرقيبَ ،و الطليعة – معَرّبة ،علي ما جاء في

"المعجم الوسيط". و من مراجعة "القاموس"يستبين أنَ الفعل(دَيْدِبْ) قد اشتقه الناس من كلمة "الدَيدَبان" المُعَرّبة .علي أنه لم يذكر ذلك صراحة،كما جاء في "القول المقتضب". (٩٩)

و يذكر ابن أبي السرور كلمة (زرْياب) بمعني الذهب ،أو مائه.و هي من المعربْ ،كما هو معلوم.(١٠٠) و الكلمة غير مستعملة ،علي أيامنا ، حتّي بين المثقفين، أو هي – علي الأقلّ – غير شائعة فيما بينهم. و ربّما استثنينا من ذلك الأدباء،أو المهتمّين بالتراث . و ابن أبي السرور لا يشير إلي أن الكلمة من المعرّب. (١٠١)

و يأتي – بعد ذلك - بعض الغريب غير المسموع ، علي أيامنا ، لا من المثقفين ،و لا من العامة. و هو ما نجده متمثلا في الكلمات التالية:

قلتَة. و القلْت:النقرة في الجبل. وقد وردت في البيت التالي من معلقة طرَفة،الذي يشبه فيه عيني ناقته بالمرآتين،في صفائهما،قد حلّتا في غار في الجبل. يقول: و عينان كالماويّتين ، استَكَنّتا بكهفي حِجَاجَي صخرة ، قلْتِ مَوْرِدِ

و استعمل الناس (القلتة) – علي أيام ابن أبي السرور – للدلالة علي ما يجمع فيه الماء الرديء ، أو الشيء القذِر. و هم قد ألحقوا بها التاء للتأنيث ، وهذا مخالف للفصيح . و في "القاموس":شاة قلتة:ليست بحلوة اللبن.فكأنهم انتقلوا بهذا الوصف من الحيوان إلي الجماد – صُدّيَ للشيء:إذا أعطي له همّته. و ذكر أن ذلك عن المُجدّي. و الذي في "القاموس":"التصَدُّد:التعرّض. و تبدل الدال ياءً؛فيقال:التَصدّي،و التصدِيَة".و المستعمل الآن : تَصدّي، و مضارعه ، و المصدر الأول – عَقِيد (النوع من الحلوي) – أكْوَد. قال:"يقولون:فلان أكْوَد. قال بعض اللغويين:معناه:الليل المظلم.و يطلق علي الشدة و الحزن. فلهذا أهل مصر يقولون:أسود أكود. فكأن أسود تفسير أكود". و الكلمة هنا من الإتباع ، الذي يؤتي بكلماته متفقة مع ما قبلها وزنا ورويًا. والصيغة ، و إن لم نجدها في المعجم (علي ما هو في اللسان)، فإن في القاموس:"الكَوْد:المَنْع. و اكْوَأدَّ:شاخ،و ارتعش. و الكَوْدَة:ما جمعت من تراب و نحوه". و ربما كان لهذا بعض الصلة بالشدة و الظلام،إن كان يلزم أن يكون للكلمة المتبعة غيرها معني – وقر. قال(ص٦١):"و يقولون:فلان وقر. قال في القاموس:الوقار؛كسحاب:الرزانة ،و التبجيل.و الوقر:المجرب العاقل ،قد حنّكته الدهور"(كذا).و الذي في القاموس:"و المُوقَّر؛كمعظَم:المُجَرَّب العاقل...".و ذكر- من قبل -:"رجل وَقار،و وَقورٌ،و وَقُر...و هي وَقور".و في اللسان:وَقُر؛بفتح القاف،لا بضمها. وقد تكون الكلمة التي كان ينطق بها المصريون هي صيغة المبالغة ، أو الصفة المشبهة :"وَقِر" ، و إن كانت المعجمات لم تسجلها- راز الشيءَ ، و يَرُوزه. و الرّاز ،بمعني:رئيس البنائين.(و انظر: القاموس).

و ممّا ذكر من التراكيب قولهم : "حصلت لي باعثة ؛ يريدون نشاطا... حالته مرسلة إليه القوة و النشاط"- تولعة.قال (ص١٠٢):" فلان عنده تولع بعض أئمة اللغة : أي خِفّة ".و الذي في القاموس من المصادر للف

به؛بمعني:استخفّ،و كذب:وَلع، و وَلوع.كذلك يقال:أولع به. أمّا التوليع فهو استطالة البَلق،و هو السواد و البياض. قال:"يقال:برْذِوْن ، و ثَوْر مُوَلّع؛كمُعَظَّم". و من هنا يتبين خطأ هذه الصيغة. والمستعمل الآن:مُولعٌ بكذا- معه دنيا وافرة؛أي كثيرة.و أحال علي الفيروزآبادي في إشارته إلي أن العوام يستعملون التعبير.

- وَ ممّا ذكر من الفصيح المستعمل الآن: دَرْب – سَبَّ - سَبَح – شباب – بَتَّ الأمرَ: إذا قطعه. و المستعمل:بتّ في الأمر – خليج – واضح – وقِح – أرّخ الكتاب – جيّد – مائدة. و قال إنهم يجعلونها لما يوضع عليه الطعام. و ربما يفهم من ذلك توسعهم في دلالتها.و هو ما لا يتيحه لنا المدون في كتب اللغة؛ فقد خص الثعالبي الكلمة بالدلالة علي الموضع قد أعد عليه الطعام.(فقه اللغة للثعالبي٣٩،و القاموس،و الوسيط/ميد). تيّار – قفص – لِصّ - مليح - مروَحة – فاوض – فيض – لقيط – حظّ – غليظ – غاظ – لحظ – يقظة .

و من التراكيب : كَيْتَ و كَيْتَ.قال(ص٣٢):"و يقولون:جري منّا ما هو كيت و كيت.هو صحيح من الكنايات".و لم يضبطه. وعامتنا ينطقون الكلمتين بكسر أولهما ؛ لتتبعه حركة الكسر الطويل – حرَسه الله - لبَّسَ عليه الأمر- فلان كافح فلانا:أي كابره في الشيء.و "كافح" تستخدم في مجال بذل الجهد ، و بخاصة في سبيل الوطن . و كأن الكلمة قد ضيق مجال استعمالها . و ما سجله من معني للثلاثي من المادة "كفح" يشهد لهذه الدلالة و تلك.قال:"كفحه:كشف عنه غطاءه، و كفحه:ضربه بالعصا". فالفعل في كلا الحالين ينتهي إلي استيضاح حقيقة المكافح، و إظهارها ، أو التمكن منه – رَشّحني.قال(ص٤١):"و يقولون:رَشّحني:إذا طالبه بأن يعطيه شيئا.و هو صحيح لغوي".و هو من الفعل "رَشَح"بمعني:عَرق.و "الترشيح" للأمر - كالمُلك – يراد الإعداد و التأهيل له. و هذان يعطيان من تتوفر له مؤهلات ما يؤمّل له.قال في القاموس:"الترشيح:التربية ، و حسن القيام علي المال". و نحن نستعمل الفعل الرباعي الآن للدلالة علي اختيار أحدهم لشغل أحد المناصب، أو المواقع.ولهذا المعني صلة واضحة بمعني العطاء ، و بعض الصلة بمعني الإعداد. و يشيع في لغة الإعلاميين الآن : رَشَحتْ أخبارٌ عن كذا ، بمعني:تسرّبت .

علي أن الفصيح قد يصير غريبا ، خاصة إذا ما تداولته العامة ؛ فيبدو كما لو كان خاصا بهم ، أو يصير أمره إلي ذلك ؛ فيعمد الكتاب و الأدباء إلي تجنبه. و هو ما نجد البلاغيين والنقاد يدعون إليه. ولعل في تجنب لغة الكتابة و الأدب بعض ما مضي مما وقفنا عليه من كلام العامة في شعر الشعراء قديما – ما يشهد لما نقول . و يمكن أن يوقفنا البحث علي المزيد منه.(١٠٢)
ذكر ابن أبي السرور أن المصريين كانوا يقولون : " مَلّ : إذا كان ليس له ثبات في المكان... و المَلّة ؛بالفتح:الرماد الحر ، و الجمر ، و عَرَق الحُمّي".(١٠٣)

و نحن نسمع العامة يقول أحدهم واصفا جفاء غيره ، وصعوبة مراسه : إنه (نار مَلّة). و لعل هذا التعبير لم يكن معروفا في زمن ابن أبي السرور، و إن توقف عند بيان معني جزئه الثاني . و الكلمة واردة في الشعر قديما.(١٠٤)

و ذكر صاحب "مَتْن موطأة الفصيح" الكلمة ، و الفعل في قوله:

و قد مَللتُ الشيءَ في النار إذا دَفَنْتـه في الجَمْر.قيِّدْه كذا

أمَـلَه مَــلأ ، و ذا ممْلُــول و المِلَّة:الجَـمر.و ذا المنقول(١٠٥)

٢- و هناك من الفصيح ما جاء فيه عن العرب لهجتان (أو لغتان)؛فاستعمل الناس إحداهما.

و قد كان الأخذ بأيٍّ من "اللغتين" أو اللهجتين مثار اختلاف بين علماء التنقية اللغوية . فمنهم من ارتأى ضرورة الأخذ بالأفصح وحدَه .و قد كان ذلك منهج الأصمعيّ، و أخذ بـه آخرون قديما و حديثا.و منهم من أجاز كل مـا جـاء عن العرب،كما كان يري الخليل .و رأي ذلك أيضا ابن السِّيد البَطَلْيَوسي ، كما يبدو من تعقيباته علي اختيارات ابن قُتَيْبَة في "أدب الكاتب".و قد سار علي النهج نفسه ابن هشام اللَّخْميّ الأندلسي .(١٠٦)

و ابن أبي السرور ،أو- إن شئنا – الشيخ عبد القادر المغربي، صاحب الكتاب الأصلي – يبدو أنه يميل إلي الأخذ بأعلي اللغتين ،كما يتضح من المثال التالي :

جـاء فـي "القول المقتضب":" و يقولـون:نُصْبَ عينـي .و منـه قـولهم:أعـرف الشيء نصب عيني،وله أصل في اللغة،لكن بالضمّ.و معناه:كأنّه تجاه عيني".(١٠٧) و فـي القـاموس المحيط أن أول الكلمـة يجوز فيـه الضـم و الفـتح.(١٠٨) و اللفظـة فصيحة،لا يتكلم بها إلا المثقفون ،أو الكتاب ومن إليهم.

و قد لا يفصل بين الفصيح و بين ما يـتلفظ بـه العامّةُ إلا تغيير هـؤلاء للحركة،أو عملهم علي أن تجري الكلمة المعيَّنة،في نطقهم،علي سَنَن واحد.علي أنه يبدو أن ابن أبي السرور لم يلتفت كثيرًا إلي ميل العامة إلي مراعاة التماثل في الحركات عند نطقهم،فيما عدا ما يشبه ما سبق حول كلمة "نُصْب". و ربما كانت بعض التغيرات التي نلاحظها الآن لم تكن قد طرأت علي المفردات .

- يسجل ابن أبي السرور الفعل (هرب) ذاكرا أنه يراد به:تَوَارَي ،أو ما له شيء، و لا أحد يقرب منه ؛ لأنه ليس له شيء.(١٠٩)
- و يذكر أيضا أنهم يقولون : عيب. و يعقب بأنه صحيح ، و أن المراد بـه ما يستقبح فعله.(١١٠)

وليس يفصل بين نطقي الفصحاء و العامة ،في هاتين، إلا تغيير الحركة،و المماثلة. فالعامة يميلون إلي أن تلي الكسرةُ الصامتين الأول و الثاني ، في الكلمة الأولي ؛اتجاها منهم بنطق الكلمة نحو الأيسر. و هو مناسب لما تميل العربية إليه في تطورها ؛ حيث تختار الكسر علي غيره.(١١١)كذلك مال العامة إلي كسر أول الكلمة الثانية ، أو لعله يمكننا أن نقول:إنهم ينطقون به مفتوحا،مع إمالة الحركة نحو الكسر ؛ليتناسب ذلك مع الياء التالية ؛فتكون لدينا حركة مزدوجة.(١١٢)

و يمكن القول أيضا إن هذا التغير، أو ما يقرب منه قد لحق أمثال هاتين الكلمتين ،إلا أن اللغويين الذين كانوا يرقبون أخطاء العامة ،و يعملون علي تصحيحها – لم يشاءوا أن يتوقفوا عند ذلك؛لما فيه من مَظَنّة "تثبيت لدعائم العامية، وبناء قواعدها ؛لتنافس الفصحى".(١١٣) و يلاحظ أن ما جاء فيه لغتان ، منه ما اختص كل مستوي من مستويي الكلام:الفصيح و العامي – بشيوع إحداهما فيه،علي ما هو الحال في نطق كلمة(الأبّ) ؛بالتشديد للباء – بمعني الوالد - . قال ابن أبي

السرور إن هذا التشديد ليس خطأ،بل له أصل في لغات العرب.(١١٤) و نحن نعرف اختصاص الأداء العاميّ للكلمة بهذا.

و ممّا جاء فيه لغتان (لهجتان) من المفردات ؛ فاختار العامة إحداها ؛ ليستقيم لهم نظام صوغ المفردات علي نهج واحد ، استعمالهم كلمتي : إنسانة – عجوزة؛ بالهاء في آخرهما ؛ للدلالة علي التأنيث. وهو المعتاد لديهم ، بل هو الغالب في اللغة. أمَّا وجود صيغ يشترك فيها المذكر و المؤنث فربما بدا غريبا عند العامة ، هذا فضلا عن أنه موقع في اللبس ، و هو ما يحرصون علي تجنبه.

و في "الصحاح" للجوهري أنه "يقال للمرأة أيضا:إنسان.و لا يقال:إنسانة.و العامة تقوله".

و عقب صاحب "تاج العروس"علي أخذ ابن سيده بهذا الرأي بأن اللفظة صحيحة ، و إن كانت قليلة. و قال إنها سمعت في شعر بعض المولدين ، قيل : هو أبو منصور الثعالبي ؛ حيث يقول:

لقد كستني في الهوي ملابس الصَبّ الغَزِلْ

إنسانـــــة فتّـــــانة بَدْرُ الدُّجَي منها خَجِلْ

و قد و ردت في أشعار العرب قليلا. قال كامل الثقفي:

إنسانة الحيِّ أم أدْمانة السَمُر بالنَهْي رَقّصَها لحْنٌ من الوتَر

ثم ذكر ما روي عن المتنبي من قوله:

لاعَبْتُ بالخاتم إنسانة كمثل بدر في الدجَي الناجم

و قال ابن أبي السرور(ص٦٦):"يقولون:فلانة عجوزة. قال المجدي:تطلق علي الشيخ و الشيْخة.و الصواب:فلانة عجوز.و لكن قال في القاموس:لا تقل:عجوزة،أو هي لغة رديئة ،تجمع علي عجائز".(و القاموس/عجز).

و لم يذكر ابن أبي السرور كلمة "إنسانة".

و لقد يكون بعض ممّا ذكره ابن أبي السرور (أو الشيخ المغربي من قبله)استلفت الانتباه ؛ لأنه ممّا يختص به المصريون،و يشيع علي ألسنتهم.

و لعل من ذلك الكلمات التالية:

شباب – صبابة(١١٥) – الطَرَب (يخصونه بحركة الفرح). وهو – في الحقيقة – من الأضداد ؛لأنه يطلق علي الحزن أيضا.(١١٦)- طوب ،و هو الآجُرُ،كما ذكر المحقق عن القاموس. و قال إنّه قد جاء في اللسان أنها تعني ذلك بلغة أهل مصر و الشام . وكذا جاء عن الشافعي. و عن ابن شُميل أن الآجرّ:الطين.(١١٧) كذلك ذكر أن المصريين يستعملون كلمة (عِلب).(١١٨) و العُلبة:قدَح ضخم من جلود الإبل ،أو من خشب يحلب فيها . و قد تُوسِّع فيها ؛فصارت تطلق علي الوعاء من ورَق ،أو صفيح معدني ، يحفظ فيه الشيء.(١١٩)

و يمكننا القول إن من ذلك كلمات : البَلاّعة - التُرْعة – الدَرس – النَمَط.

- قال (ص١٠٢) :"و يقولون : بَلاعة.قال في القاموس: البلاعة لما يحفر بالأرض،مجْمَع الماء. و البلاعة ، و البَلُوعة؛مشدّدتان:بئر يُحفَر ، ضيّق الرأس، يجري فيها ماء المطر ونحوه".

- و قال :"يقولون : تُرْعة. قال في القاموس : الترعة ؛ بالضم: الباب ،و مَفتَح الماء ، حيث يستقي الناس، و الدرجة ، و الروضة ،و المِرْقاة من المِنبَر ، و فُوَّهة الجدول". و نحن نستعمل الكلمة للدلالة علي مجري الماء الفرعي ، أو للدلالة علي جداوله ، لا مجرد الفوُهة.

- و قال (ص٧٢) : "و يقولون :كنّا في الدرْس؛ يريدون بذلك الحلقة التي يجتمع فيها الناس لمن يقرأ العلم".

- و قال (ص ٩٧) : " يقولون :علي هذا النمط. قال بعض أئمة اللغة:النمط: الأسلوب. أي هذا مثل هذا.و النمط:ضرب من البسُط،و الطريقة ،و النوع من الشيء،و جماعة أمرهم واحد. و التنميط:الدلالة علي الشيء". و وردت كلمة "النمط" في شعر لابن وكيع التنّيسي (ت ٣٩٣هـ) بمعني : البساط،أو ظهَارة الفراش؛حيث يقول:و قد حكـــي غديره   في زهره حين اغتمط

مـِرْآة خـال بـــاهر   موضوعة فوق نمَـط

(ملامح الشخصية المصرية في الدراسات البيانية في القرن السابع،للدكتور الصاوي الجويني). و "النمط"تستعمل في المستويين الفصيح و العامي ، بالمعاني : الأول ، و الثالث ، و الرابع. و ربما كان من المفيد الإشارة إلي أن "التنميط" يستعملها العامة للدلالة علي المعني الذي ذكره لها . علي أنهم يبدلون الميم باءً ،و هو ما يتيحه اشتراكهما في المخرج الشفوي.

و قد رأينا ، فيما مضي قريبا ، نسبة ابن أبي السرور بعض الكلمات إلي أهل مصر ،و الشام،علي ما جاء في "اللسان". وهو هنا ينسب اللفظة إلي بعض الأقاليم، أو الأقطار . كما جاءت فيه النسبة إلي طبقة اجتماعية أيضا.(١٢٠) وربما كان ذلك شاهدًا علي أن كتب "اللغات"كانت تهتمّ به.(١٢١) و قد اهتمّ المَقدِسيّ (٣٧٥هـ) قديما في كتابه "أحسن التقاسيم" ببيان ما يختلف فيه أهل الأقاليم من الاختصاص بمفردات دون غيرها ، ممّا لعله يلزم استعماله ، أو يكثر دورانه علي الألسنة . قال :"و أما الأشياء التي يختلف فيها أهل الأقاليم فهي مثل:لحّام ،قصَّاب – كرسف، عطب ، قطن – قطان ،حلاج - ... جبّان، طبّاخ...ميزاب،مرزاب ، مزراب،مِثعَب ... زنْبيل،مِكْتَل،قُفة ... حاكِم،قاضٍ – وكيل،جَريّ... صَفْعَ ، صَكّ – بُقعة،موضع – قِطة،سِنّوْر ،و مـة،هِرَّة – مُعَلم،خادم،أستاذ... زرّاع،فلاح،حرّاث – فندق...دار التجار – مِرْزَبة،أكلة ....قِفٌ،هلي .... دالية،كرمة – مِسْحاة،مَجْرَفة،مِعْوَل،فأس .... ساحل،شَطٌ – رُقعَة،بطاقة ... و نحو هذا كثير . و لو استوعبناه طال الكتاب".(١٢٢)

<u>و ممّا جاء في "القول المقتضب" ممّا استعمله العامّة من الفصيح ،مع تغييرهم لمعناه ما يأتي:</u>(١٢٣)

شَنَب. قال:"ومنه قولهم:فاتل الشنب".و لم يذكر معناه. علي أن الواضح أن المراد:الشارب. وقد ذكر ما جاء عن الكلمة في "القاموس"من أنها تعني: الماء ،و الرّقة ،و البَرْد،و العذوبة في الأسنان ،أو النقط البيض فيها ،أو حدّة الأنياب . وفي "الوسيط"أن الشنَب:جمال الثغر ،و صفاء الأسنان ،و أن المحدثين استعاروا الشنب للشارب ، و استعملوه فيه حتي تناسوا الأصل.(١٢٤)

- و قال :"ويقولون :طَبْطَب.قال في القاموس : الطبطبة:صوت الماء، و صوت تلاطم السيل.و طَبْطَب:صَوّت". و قد صار معناها التربيت باليد علي الكتف،أو الظهر؛ إشعارا بالحُنُوّ علي الشخص، وإظهارا لمُوادّته. و قد ذكر أحمد فارس الشدياق أن أهل مصر والشام يستعملون الفعل لذلك .(١٢٥) وثمّة علاقة تربط بين المعنيين، تنبع من اشتمالهما علي الأثر الصوتي، وان كان أضعف كثيرا في المعني الحديث منه في القديم.
- و منه إشارته إلي قولهم :(فلان كابي) .و عامتنا ينطقون باللفظة يريدون بها الدلالة علي الكآبة، كما قال .(١٢٦) و هي تعني : السقوط و الإخفاق . فكأنهم استعاروا الأثر البادي علي هيئة الشخص بسببهما، للتعبير عن حالة الإطراق ،و الانقباض،التي قد تكون بسبب فشل ،أو إخفاق .
- و كذلك : كَبَّ الشيء.ذكر أن المراد :أهْرَقَ ، كما جاء عن الفيروزآبادي (أو المَجدَي،كما يدعوه دائما).

والذي في "القاموس" أن الفعل يعني : قلبه،و صَرَعه ، و أنه يشبه في ذلك الفعل "أكَبَّه". و ذكر المعنيين صاحب اللسان . كما نجدْهما في "العين" للخليل . علي أن صاحب "اللسان" يذكر: كَبَّ الإناء،و كَبَّ القصْعَة؛بمعني:قلبَها علي وجهها. وهذان لا نجدهما في " الصحاح" للجوهري . و جاء في المعجم الوسيط:"و يقال: كَبَّ الإناء". (١٢٧)فهل نستطيع أن نخرج من كل ما سبق بما يشهد لكون هذا الاستعمال للفعل قد شاع لذي العامة وحدهم تقريبًا؟

<u>٣- و ثمّة مفردات،جاءت في "القول المقتضب"نسمعها من العامّة ، وقد لحِقها من التغيير مثل الذي جاءت به اللهجات العربية ،في القديم .</u>

يقول بعض الباحثين :" و أغلب الأصول و القواعد الأساسية مشتركة بين الفصحي والعامية ، حتي ما يتصل بالقلب و الإبدال و التسهيل والترخيم و النحت و غير ذلك. و تمتاز العامية بمظاهر بسيطة ، تجعلها في بعض الأحايين أكثر إيغالا في القلب و التسهيل.علي أن مشاركة العامية للفصحي في كل ما سبق،تتضح في قطر عربي دون الآخر".(١٢٨)

و يظهر ذلك ، بوضوح، في الكلمات التي جاءت مخفّفة الهمزة ، كما في إشارته إلي: ومَي - رَفا – طاطا – عَبَا (قال:و العَباء كالعباءة)- قِثَا (الثَمرة المعروفة) – المُلا – وَرا .(١٢٩)

جاء عن الفرّاء:أوْمَي يُومِي، و وَمَي يَمِي ،مثل أوْحَي ،و وَحَي . و ذكر الحديث:كان يصلّي علي حمار،يُومِي إيماء. و الإيماء: الإشارة بالأعضاء،كالرأس،و اليد،و العين ،و الحاجب .و المراد هنا – أي في الحديث - : الرأس.قال: "يقال:أوْمَأت إليه،أومئ إيماء.و ومَأت لغة فيه . ولا تقل :أومَيْت... وقد جاءت في الحديث غير مهموزة ،علي لغة من قال في "قرأت":قرَيْتُ". (١٣٠) فكأن المصريين قد مالوا إلي صيغة (فعَل). و قد وقفنا علي أنها لغة في "وَمَأ".ولعل الصيغة الثلاثية أقل شهرة ،و استعمالا من الأخري الرباعية "أوْمَأ".

و ينطق عامتنا بقية الكلمات بترك الهمزة كما سجل الكتاب ،مع تغيير في الحركة ، علي ما يُنطق به مع (رفا) ؛فيقولون :(رفا التوب – بجعل الثاء تاءً ، علي ما صار إليه هذا الصوت في نطقهم- أو الفستان).

و قد يغيرون في بعض الصوامت ، كما في قولهم :(أتَا ،أو أتَه)؛باجتلاب هاء السكت في آخر الكلمة ؛ بدلاً من "قِتَا ،أو قِتَّاء"؛بالثاء المثلثة ،و بالهمز،أو بدونه بعدها. و قد يضيفون علامة الإفراد (تاء التأنيث) بعد تسهيل همزة الكلمة ، أو جعْلها ياءً، كما في قولهم (أتَاية) . و تصير التاء هذه هاء ؛للوقف عليها ، كما هو واضح. كذلك يقولون : (عَبايَة – مِلايَة) بدلا من : عَباءَة – مُلاءَة ؛في الفصيح.(١٣١)

إذن هذه الكلمات جميعها قد ذهبت منها الهمزة ، وكان ذلك أبرز أسباب مفارقتها للفصاحة (١٣٢)، أو مجيئها في مرتبة تالية للفصيح من الكلمات . و ربما كان الناس علي زمن المغربي و ابن أبي السرور قد خلطوا بين المفرد والجمع في كلمتي (المُلا – العَبا)؛فلم يفرقوا بينهما بالتاء ،التي تصير هاء في الوقف؛فكان ذلك مستوجبا التنبيه إليه.

و نحن نسمع العوام يقولون :فُلان (طاطا) للرّيح ،أو لفلان، (يطاطي) له.(١٣٣) كما نسمعهم يتخققون من همزة"وراء". وسنخص الهمز بتوقف عنده في هذه الدراسة.

٤- و يذكر كلمات ما نزال نسمعها من العامّة ، أو ممّن يتعاطوْن مستواهم اللغوي ،علي ما يبدو من ذِكْره ما يلي:

- فالِح. قال: " و يقولون : فالِح؛أي:عنده نجابة ومعرفة. وهو صحيح ،ورد في كتاب "الزاهر". و الفلاح:الفوز و البقاء في الخير،و السَّحور".(١٣٤)(كذا قال). وعلي الرغم من تصحيحه لها ، إلا أنها – علي ما يبدو – صيغة سماعيّة ،شاعت في المستوي العامّي . و بقيت الصيغة القياسية "مُفلِح" المأخوذة من الفعل الرباعي "أفلح" هي الفصيحة. وهي الواردة في القرآن الكريم.(١٣٥)
- فخْفَخَة.قال:"يقولون:فلان عنده فخفخة،إذا كان مظهرا للكبر والخُيَلاء".(١٣٦)
- قال:"و يقولون:هاود". قال: "و له أصل في اللغة.معناه:ارفق به.و المهاودة:المواعدة (كذا،و الأقرب:الموادعة)و المصالحة . و التهويد : المشي الرُّوَيْد، و الصوت الضعيف".(١٣٧)

و لعل المفردات التالية أكثر إغراقا في العاميّة:

- قِبْقاب.(١٣٨)وعامتنا ينطقون اللفظة بضم أولها،بعد أن يستبدلوا به الهمزة،هو و الحرف الثالث.
- لحْلِحْ. ذكر أنهم يقولون :لحْلِحْ فلانا من مكانه ؛أي:أزله عنه . قال:"صحيح لغويٌّ". وفي "القاموس":"لحْلحوا:لم يبرَحوا مكانهم".(١٣٩) و لعل العامة قد فهموا المعني معكوسا،أو وظّفوا الفعل للدلالة علي الضّدّ. وهم – علي أيامنا – يريدون هذا. والفعل(حَلحَلَ) يبدو أنه مأخوذٌ من تكرار المقطع"حَل"،أو

المقطعين "حَلٍ". و هو دعاء للإبل لتنهض،أو لتتحرّك من مَبْرَكها. ويتضح أن هذا المقطع،أو أصله،هو أصل الجذر "حلل"الذي منه الفعل : حَلَّ المكانَ ،و به،يَحُلّ،و يَحِلُّ ،حَلاً ،و حُلولاً،و حَلَلا :نزَل به. فاستعمل الرباعي مركّبا من أصل هذا الفعل الثلاثي ؛ليدل علي العكس مما يدل عليه الثلاثي.و يشيع الآن استعمال مصدر هذا الفعل الرباعي في كلام المحللين السياسيين؛ فيقولون:حَلحَلة المسألة،أو القضيّة. و الكلمة مصدر لمقلوب الفعل الذي ذكرنا الأمر منه أوّلا(لحْلحَ).و ربما استعمل العامة الفعل (حَلحَلَ) أيضا. و لعلنا بذلك نقف علي موضع من مواضع الالتقاء الكثيرة بين لغة العامة و الخاصة.

- قال ابن ابي السرور :"و يقولون:لقّح علي فلان:عَرض له بشيء يؤذيه.و هو وارد في بعض كتب اللغة ،كالزاهر و غيره".(١٤٠) يبدو أن هذا المعني ذو صلة بمعني تلقيح الذكر للأنثى في الإنسان، و الحيوان ،و النبات . علي أن هذا المعني الأصلي قد صار أكثر اختصاصا بلغة الكتابة والعلم .

جاء في "اللسان":"و يقال للرجل إذا تكلم ؛فأشار بيديه : تَلَقّحت يداه. يشبه بالناقة إذا شالت بذنبها ،تُري أنها لاقِح؛لئلا يدنو منها الفحل؛ فيقال ؛تلقحت .وأنشد:

تَلقّحُ أيديهم، كأن زبيبهم زَبيب الفُحُول الصِّيد،وهْيَ تُلقحُ

أي أنهم يشيرون بأيديهم إذا خطبوا".(١٤١)

و لعل ذلك يوضح ما في هذا القول من الإيذاء؛إذ إنه يشبّه بالناقة اللاقح! و عامّتنا ينطقون بالأمر من مطاوع الفعل "لقّحَ"،غير أنهم يبدأونه بهمزة الوصل بسبب إسكانهم التاء ،كما يستبدلون بالقاف الهمزة . وهو ما سنقف عليه ،فيما بعد.والعامة لا يستعملون إلا الفعل وحدَه. أي أنهم اختصروا الجملة إليه.

و ربما كانت اللفظة قد تطورت فيها الحاء عن العين في الفعل"لقعَ".و في "المحيط"لابن عبّاد:" لقعْتُ الشيءَ:رميْت به.و لقعَه بعينه:عَانَه.و اللقاعة: الرجل الداهية،يُري بكلامه .لاقعْني بالكلام؛فلقعْتُه.و التِلقاعة و اللُقاعَة:الملقّب الهمّاز للناس .و التّلقاعة: الأحمق أيضا .و اللُّقّاع : الكساء الغليظ.و الملِقاع :الفاحشة في الكلام".(١٤٢)

و معاني الرمْي و الهمز والحُمْق،يمكن أن تكون جميعها مقصودة للعامة ، عندما يستعملون الفعل . ويقرب من المعني الأول معني المرور السريع الذي ذكره صاحب القاموس. فكأنهم يدعون من يخاطبونه بالفعل أن يُفسح لهم المجال ، وأن يترك مجلسهم!

- ومما ذكره من المُغرق في عاميته:(زِنِخ). قال : هو:"الشيء المتغير. وهو صحيح لغوي و زَنِخَ الدُهنُ:إذا تغيّر".(١٤٣)

- و منه (قدّ). قال :"يقولون :ما احد قدّ فلان :أي ما أحد يقاومه . كذا ورد في كتاب المجرّد بهذا المعني ".(١٤٤)

و العامة يستعملون اللفظ ذلك الاستعمال ،غير أنهم يستبدلون الهمزة بالقاف . و هي تدل علي القدْر،أو المقدار ، و رفعة الشأن .(١٤٥) وعلي الرغم من فصاحة الكلمة ، إلا أنها غير مستخدمة ،أو – علي الأقل – غير شائعة في الكتابة ، بل المستعمل فيها : المقدار، و القدْر.

- و منه (اللهْد). قال:"و اللهْد: داء يصيب الإبل في صدورها و نحورها ، و داء في أرجل الناس ".(١٤٦)

و عامتنا يستنكرون كثيرا (الجِرْى و اللهْد) أي التعب و المشقة ، اللذين لا يعودان علي المرء بفائدة.

قال:"و يقولون للأرض التي لم تُزرَع:بُور. و ذلك صحيح لغوي،وارد في كتب اللغة".(١٤٧)

و عوامّنا ينطقون باللفظة ، و يريدون بها المعني نفسه. و ربما قالوا: (بايرة) بتسهيل همزة اسم الفاعل ؛ لتكون ياءً.

و "البور"جمع "البائر" جاءت موصوفا بها القوم،في القرآن الكريم؛ إذ فيه:"... وكنتم قومًا بُورًا"(١٨/ الفرقان). و وُصِفت جهنّم فيه بأنها"دار البَوَار"(٢٨/ إبراهيم).

و يذكر الزمخشري أن وصف الأرض بالبوار من المجاز . وذلك صادق عنده أيضا علي وصف كلٍّ من المبيعات ، و السُّوق،و الفتاة بذلك.(١٤٨) و مثل هذا اللفظ يوقفنا علي حقيقة اشتراك لغتي الخاصة و العامة في طائفة من المفردات ، لا غني لكلٍّ منهما عن استعمالها. و هو ما أشار إليه حازم القرطاجني.

- و في "القول المقتضب" أنّ المصريين يقولون :"فلان بهْوَار. قال في "الزاهر":البهوار هو الذي يقول ما لا يفعل ".(١٤٩)

و نحن نسمع اللفظة من العامّة . و يبدو من سياق استعمالهم إياها أنها تعني ،عندهم ،تجاوز الحدّ في إتلاف المال ، أو إهلاك المقتنيات دونما استفادة تامّة. و نستطيع أن نجد علاقة بين ذلك و ما جاء في "الزاهر"؛ إذ يجمع بين المعنيين تجاوز الحدّ. وهو جامع بين المعاني التي يدل عليها [illegible] المتعرب"(١٥٠) ولم أجد المعني الذي جاء في "الزاهر" عند صاحب [illegible] العراقيون [illegible] المعني قد عرفه المصريون للكلمة كما ما جاء في [illegible] القاموس. و هكذا يظهر التناسب بين المسمّي و دلالات الجذر. ثم استعمل العامة الكلمة للدلالة التي أشار إليها ابن الأنباري بجامع اشتراكهما في إفادة الاجتراء و اللامبالاة.وحدث أن حرّف العامّة الكلمة [illegible] تحريفا للـ"بَهْوَر"كجَرْوَل؛ بمعني: الأسد ؛علي بكسر أولها و زيادة الألف بعد الواو .

- و منه (قدّ). قال :"يقولون :ما احد قدّ فلان :أي ما أحد يقاومه . كذا
ورد في كتاب المجرّد بهذا المعني " (١٤٤)
و العامة يستعملون اللفظ ذلك الاستعمال ،غير أنهم يستبدلون الهمزة
بالقاف . و هي تدل علي القدْر،أو المقدار ، و رفعة الشأن . (١٤٥) وعلي
الرغم من فصاحة الكلمة ، إلا أنها غير مستخدمة ،أو – علي الأقل – غير
شائعة في الكتابة ، بل المستعمل فيها : المقدار، و القدْر .

- و منه (اللهْد). قال:"و اللهْد: داء يصيب الإبل في صدورها و
نحورها ، و داء في أرجل الناس " (١٤٦)
و عامتنا يستنكرون كثيرا (الجَرْي و اللهْد) أي التعب و المشقة ،
اللذين لا يعودان علي المرء بفائدة.

قال:"و يقولون للأرض التي لم تُزرَع:بُور. و ذلك صحيح
لغوي،وارد في كتب اللغة" (١٤٧)
و عوامّنا ينطقون باللفظة ، و يريدون بها المعني نفسه. و ربما
قالوا: (بايرة) بتسهيل همزة اسم الفاعل ؛ لتكون ياءً.
و "البور"جمع "البائر" جاءت موصوفا بها القوم،في القرآن الكريم؛
إذ فيه:" ...وكنتم قومًا بُورًا"(١٨/ الفرقان). و وُصِفت جَهنّم فيه
بأنها"دار البَوَار"(٢٨/ إبراهيم).
و يذكر الزمخشري أن وصف الأرض بالبوار من المجاز . وذلك
صادق عنده أيضا علي وصف كلّ من المبيعات ، و السُّوق،و الفتاة
بذلك.(١٤٨) و مثل هذا اللفظ يوقفنا علي حقيقة اشتراك لغتي الخاصة و
العامة في طائفة من المفردات ، لا غني لكلّ منهما عن استعمالها. و
هو ما أشار إليه حازم القرطاجني.

- و في "القول المقتضب" أنّ المصريين يقولون :"فلان بهْوَار.
قال في "الزاهر":البهوار هو الذي يقول ما لا يفعل ". (١٤٩)
و نحن نسمع اللفظة من العامّة . و يبدو من سياق استعمالهم إياها
أنها تعني ،عندهم ،تجاوز الحدّ في إتلاف المال ، أو إهلاك المقتنيات دونما
استفادة تامّة .و نستطيع أن نجد علاقة بين ذلك و ما جاء في "الزاهر"؛ إذ
يجمع بين المعنيين تجاوز الحدّ. وهو [illegible] جامع بين المعاني التي يدل عليها
[illegible] (١٥٠) ولم أجد ال[illegible] الذي جاء في "الزاهر" عند صاحب
[illegible] [illegible] المعني قد عرفه المصريون للكلمة كما
عرفه العراقيون – فقد تك[illegible] تحريفا للـ"بَهْوَر"كجَرْوَل؛ بمعني: الأسد ؛علي
ما جاء في "[illegible]" . و هكذا يظهر التناسب بين المسمّي و دلالات
[illegible]. ثم استعمل عامة الكلمة للدلالة التي أشار إليها ابن الأنباري بجامع
اشتراكهما في إفادة الاجتراء و اللامبالاة.وحدث أن حرّف العامّة الكلمة
بكسر أولها و زيادة الألف بعد الواو .

الوحْشة، كما في القاموس.[١٥٨] وهي مسموعة من عامّتنا، دونما ياء بعد النون.

و الملاحظ أنه سجّل نطقهم للفظة بدقة. و يبدو من ذلك أنهم كانوا يطيلون المقطع الثاني من الكلمة بعد أن ينطقوا بأولها علي هيئة مقطع بسيط (ص ح). و صحّة النطق بالكلمة :آنَسْتَنَا. و ذلك لتكون فصيحة.و واضحٌ أنها تركيب ، أو – بالأحرى – جملة ، تضم إلي جانب الفعل فاعله ومفعوله غير المستقلين عنه كتابة. و هكذا يشارك العامة الفصحاء في استعمال هذا التركيب ، أو الكلمة (الجملة)،و لا يخالفونهم إلا في اختصار الحركة في أولها ، و كذلك في تحريك النون وتاء الفاعل بالكسر مراعاةً للمماثلة. كما أنهم ينبرون التاء.[١٥٩]

- قال ابن أبي السرور:"و يقولون إذا زجروا الهرَّة:بسْ". ثم ذكر أن الكلمة تُزجَر بها الإبل ، كما جاء في القاموس .

علي أن صاحب القاموس يذكر أن "البَسّ"تعني الهرّة الأهليّة ، و أن الواحدة بهاء.[١٦٠] و هكذا نجد أن العامة توسعت في استعمال الكلمة ؛ ربّما لمجانستها اسم هذا الجنس من الحيوان . و قد نبه الفيروز آبادي إلي أن هذا الاسم صِحّته بفتح الباء في اسم الجنس :"البَسّ" و في المفرد منه . و هو ما فات ابن أبي السرور أن يلحظه بدقة ؛إذ جعل هذا التصحيح لأول الكلمة التي يكون بها الزّجر.وهي يجوز فيها الكسر والفتح.

و من مراجعة "الوسيط" يتضح أن الفعل "بَسَّ ـُ بَسًّا"يدل علي المبالغة في الطلب. و هو ما يتفق مع الدلالة علي زجر الإبل،كما يتفق مع معني التلطّف بها لتسكن.[١٦١]

و عامّتنا يستعملون (بَسْ) في موضع "حَسْب". فكأنها اسم فعل يراد به السكوت.ولم يرتض ذلك الجواليقي (ت ٥٤٠هـ)قديمًا ؛إذ إن ذلك – عنده – من الكلام الظاهر الفساد ، الذي يُرغَب عن ذكره.و أشار الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) من بعد إلي استعمال الناس الكلمة بهذا المعني ؛ فكان بين المجيز له و الرافض.قال في "القاموس":"و بَسْ؛بمعني:حَسْب،أو هو مسترذل".[١٦٢]

- و ذكر بعض الباحثين أنّ (بُسْ،أو بُسّ) تستعمل اسمًا للصوت لدعاء الغنم في عامّيّة أسوان.[١٦٣]

و نستطيع أن نقرّر فصاحة الكلمة ، أو أنها قديمة الاستعمال ، علي الأقلّ. و نضيف إلي ذلك ترجيح أنها متطورة عن الفعل "أبَسَ" الذي يدل علي التوبيخ و التذليل و الحبس.[١٦٤] و قد انتابها هذا التطور قديمًا ، في زمن تشكل المفردات علي ألسنة من أخذت عنهم اللغة. وتمثل هذا التطور في حذف الهمزة ، و إسكان السين . و هكذا نشأت لنا هذه الأداة – أو فلنقُلْ:اسم الفعل – مأخوذًا من الفعل الثلاثي . و يبدو أنه ذاع استعماله علي ألسنة العوام منذ وقت مبكر. و هو ما يشهد له رفض الجواليقي استعماله ، و استرذال الفيروزآبادي له.

المعجمات للتركيب، و هي الافتقار إلي الشيء – أو الشخص – أو افتقاده مع الحاجة إليه. إنهم يعنون تطلبه و الاستعانة به . و لذلك فـ (عازني) عند عوامنا الآن – أو في كلامنا الدارج – تعني : احتاجني. و لذلك تجدهم يقولون :(عُزْتُ فلانًا) بهذا المعني أيضًا. و هذا ممّا تغيّرت فيه معاني المفردات والتراكيب علي ألسنة الناس بسبب الاستعمال تغيّرًا لا يبتعد بها كثيرًا عن أصول استخداماتها. و هو ما نقف عليه كثيرا عند المقارنة بين استعمالات كثير من المفردات في كلام العامة وبين ما دُوِّن لها من معان في المعجمات وكتب اللغة.

و كان لا بُدَّ من التوقف عند التركيب (عازني)ذلك الذي ذكره الليث ، و ابن سِيدَه ، و الفيروز آبادي ، علي حين أن الأزهري لم يُجِزْهُ. و ما ذلك إلا لأنه شائع مشهور الاستعمال في كلامنا الدارج.

و يتضح أن العامة قد صاغوا اسم الفاعل (عاوز) مصحَّح العين من "عَوِزَ" بعد تغييرهم معناه إلي معني الفعل "احتاج". و هكذا ضُمِّن الفعل اللازم معني الآخر المتعدّي. و لأجل ذلك ساغ التغيير الذي أشرنا إليه سابقًا في معني التركيب ، الذي اختُلِف قديما في مدي صحته،أو جواز التعبير به. واستعمل اسم الفاعل ؛فكان باعثًا للتوقف عنده للتغير في دلالة فعله ، وان كان في عدم لحوق الإعلال عينه ما ينبغي أن يستوقف اللغوي أيضًا.

- قال : " و يقولون : فلان غَمَز فلانًا ". و ذكر بعده أن الغمْز قد يتبادر أنه خاص بالعين. علي أنه لا يخصها ؛ لأنه يكون باليد ،و بالعين ،و بالجَفْن ، و بالحاجب . كما أنه يكون من الشخص كله. يقال :له غَمْزٌ. و غَمَزَ بالرِّجْل : سعَي به شرًّا ". قال :" فيكون الغمزْ وصفا للشخص جميعه، لا صفة للعين و الحاجب ،و غيرهما ".(١٧٣)

و عامتنا ينطقون بالفعل الماضي مكسور الأول والثاني (غِمِز). و قد يقولون :(يتغَمِّر) أو (يتْغَمِّزوا) مرادا بهما كثرة وقوع الفعل. و هذا في مقام الحديث عن السخرية ممّن يتوجَّه إليه بالفعل.و يكون ذلك بحركات خفية،أو إشارات ،أو ما شابهها.

و قد وردت صيغة "تفاعل" من الفعل في قوله،تعالي:" إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون،و إذا مرُّوا بهم يتغامزون" (٣٠/ المطففين).

و ربّما كان الفعل (غمز) ألصق بكلام العامّة ، وأدخل فيه الآن ، بخاصة إذا كان بضبطه السابقة الإشارة إليه .

و ذكر أنهم يقولون : (فزّ من عندي). و أشار إلي أن في "القاموس":"فزَّ عنّي:عَدَل ، و انفرد"(١٧٤)

و نحن نسمع من عامتنا من يقول لغيره ، ناهرًا إيّاه:"قُمْ" فِزّ من هنا!

و كلٌّ من "قدّ" و "فزّ" بناء فعلي يدل علي الانفراد. و لا يمتنع أن يكون أحدهما متطورا عن الآخر ، مع اختصاص كلٍّ ببعض المعاني المترتبة علي المعني

لتصنف كذلك في ذلك الزمن البعيد ، بل إنها أخذت تتميز شيئا فشيئا عما يستعمله الكتاب و الأدباء ؛ لينتهي بها الأمر إلي أن تُدمغ بكونها من العامي الذي ينبغي أن يتجنب في لغة الكتّاب والأدباء. و نسوق هنا طائفة من هذه الكلمات.

غاب (للقصب الفارسي) – كَبَّ الشيءَ – كركبة. و لم تأت الكلمة في "القاموس" بمعني الحركة ، كما ذكر عن صاحبه. و قد أشار محققه - نقلا عن رشيد عطية اللبناني – إلي تحريف الكلمة عن الفعل "تكَرْتب" بمعني:تقلب.(و القاموس / كرتب). و قد تكون أيضا تحريفا للـ "كَبْكَبَة" بمعني الشدة و الدفع و الرمي في الهواء.و في الاحتمال الأول تكون الكلمة قد وقعت فيها المماثلة بين الصوتين الأول و الثالث ، وكأنها أصل لفعل رباعي مضاعف. أمَّا في الاحتمال الثاني فقد وقعت المخالفة للتخفف من تكرار الباء - لِبْلِب – سِنِّي (للمرأة العظيمة). – سبخَة – فَنَخ : إذا عزم علي الشيء ، ثم رجع عنه. قال : والفَنِيخ : الرِّخْو الضعيف. و سمعت أنا بعضهم يستعمل الفعل الرباعي من هذا الاسم.ولم أجده في القاموس- يُشْخُت. جاء في "التاج":"و من المجاز:زيد شخت الخُلُق:دنيه... و التشخيت:الإبلاغ" – قلتَة – غتّ عليّ – بَهْرَجة – سَمِج – عيط.و في "القاموس" أن من معاني التعَيُّط (لا التعييط ، كما جاء في الكتاب):الجَلَبة و الصياح ، أو صياح الأشِر. و ذكر أنّ "عِيطِ:صوت الفتيان النّزقين ، إذا تصايحوا.، أو كلمة ينادي بها عند السكر، أو عند الغلبة. و قد عَيَّط تعييطا ، إذا قاله مرّة - دَعَك – عَكّ - بطّال – ما علي بالي – دلال – دجّال - سَبَهْلل (يستعمل العامة:سبَهْللة). و صحة الكلمة أن تكون بلا هاء. وفي "القاموس"(سبهل):" جاء سَبَهْللاً ؛ أي:سَبَغْللاً (أي: لا شيء معه، و لا سلاح عليه) أو مختالا غير مكترث ، أو لا في عمل دنيا و لا آخرة. و يمشي سبهْللا :إذا جاء و ذهب في غير شيء". - عتال – ملّ – خشمه. و في القاموس:"خَشَمَه يَخْشِمه : كسر خَيْشومه – و الخيشوم من الأنف :ما فوق نُخْرته من القصبة و ما تحتها من خشارم الرأس – و خَشِم ؛ كفرح ، خَشَمًا و خُشُومًا: اتسع أنفه ؛ فهو أخْشَم". و لعل ما نسمعه من أهل الصعيد تسمية للأنف هو تحريف لكلمة (أخشَم). و ربما يستبعد هذا لضرورة تعدد ما يفترض أنه انتاب الكلمة من تغيرات ، تتمثل في التخفف من الهمزة ، وفتح الخاء و إسكان الشين. لكنه الاحتمال الأقرب بدلا من القول بتسميتهم الأنف بمصدر الفعل "خشَمه". و قد أحوجَنا عدم ضبط الكلمة إلي الذهاب إلي احتمال أنها تكون تسجيلا لتسمية أهل الصعيد للأنف. – خام – شَكَم – غشيم – ندمان – حقنة – حَنّ – دَنْدَن – أبَّهَة – بعو – قال (ص ١٧٢):"يقولون عند تخويف الصبيان:بعو.قال في لسان العرب : البَعَوّ: الشكل المفزع ، أو الرجل المشوَّه الخلقة. و قال في الصحاح :البَعْو: الجناية و الجُرْم". (و القاموس/بعو). و فيه:"بعاه بعْوًا : قمَرَه ، و أصاب منه ،و - بالعين : أصابه بها ، و - عليهم شرًّا : ساقه". و الكلمة في اللسان بإسكان العين ؛ أي بلا تشديد للواو. و ليس فيه ذكر المعنيين الواردين أوّلا. علي أن فيه بقية المعاني الأخري. – العِزْوَة – عباية – هَفِيَة.و قد أوردها بلا ضبط.و ذكر أنها بمعني : الرجل العاجز.و الذي في اللسان (هفا ٦ / ٤٦٧٨):" و رجل هَفاة : أحمق. و الأهفاء : الحَمْقي من

مظاهر التطوّر الصوتي في كلام العامّة

١- التخفف من الهمزة

يميل العامّة إلي التخفف من نطق الهمزة ، أو تسهيلها . و يكون ذلك بإبدالها حركة قصيرةً، أو طويلة ، مناسبة. و لابدّ من ملاحظة أنّ ذلك لا يعني التخلص التامَّ من الهمزة في نطقهم.فهم قد ينطقون بها أحيانا لتكون بديلة لبعض الأصوات ، علي ما هو شأن القاف . و توقفنا كتب اللغة علي قِدَم تصرّف الناس في هذا الصوت بإبدال الحركات به ، قصيرةً كانت أم طويلة ، أو بإثباته حيث لا حاجة إليه . و نستطيع القول إن ما سجّله القدماء حول ذلك نجد نطق عامّتنا اليومَ يشهد له ؛ذلك أنهم يتكلمون بالنماذج اللغوية نفسها ، التي عمل اللغويّون علي تقويم ما احتوت عليه من لحْن ، أو مجاوزة لما عُرف عن الفصحاء . و سنقف علي ذلك من خلال عرض لما في كتاب "إصلاح المنطق" لابن السّكيت ، حول المفردات التي تناولها ،في أبواب متتالية ، عقدها لهذا الموضوع . و سأخصُّ بالاهتمام منها تلك المفردات الكثيرة التداول علي ألسنة العوام اليوم .

عقد ابن السكيت الأبواب التالية :

١- ما يُهمَز ممّا تركت العامّة همزه .

٢- ما يُهمَز ؛ فيكون له معني ، فإذا لم يُهمَز كان له معني آخر .

٣- ممّا همزته العرب و ليس له أصل في الهمز .

٤- ممّا تركت العرب همزه ، و أصله الهمز .

٥- باب همَزه بعض العرب ، و ترك همزه بعضهم ، و الأكثر الهمز .

٦- ممّا يقال بالهمز مرّةً ،و بالواو أخري .

فإذا استعرضنا هذه الأبواب وقفنا علي ما يلي :

١- نجده يوجب في الباب الأول أن نقول:"ربطت لهذا الأمر جَأشًا.و تقول:هي الفأس،و الرّأس،و الكأس؛مهموزاتٌ كلُّهنّ". (١٧٨)

كما ذكر أنه يجب أن نقول : " قد طأطأت ظهْري ،و رأسي . و لا تقُلْ : قد طاطيْتُ. و قد وَطّأتُ له فراشَه . و لا تقل : وَطيْت. و قد استبطأتك، و قد أبْطأتَ علينا. و لا تقل :أبطيْت". قال:"و تقول:هذا طعام يلائمني؛ أي:يوافقني.ولا تقل:يلاومني .إنما يلاومني من اللوم..."."و تقول :قد ترأسْت علي القوم ،و قد رَأسْتُك

لاستخفافهم استعمال الأخر ، و هو الثلاثي غير المهموز. إذن هذا الاستعمال للفعل يشبه استعمال "طفىَ"، الخالي من الهمز في أوله ، والمتخفَّف منها بالتسهيل ،في نهايته.

و يبدو لنا من مراجعة كتب اللحن – أحيانا – أن مخالفة الصيغة العامية للكلمة الفصيحة متمثلٌ في عدم الهمز . وربَما حدث العكس؛ ليظهر لنا الميل إلي التفصُّح باستعمال الهمز ،حيث يمكن الاستغناء عنه.

أمَا عن عدم الهمز ،فإن أمثلة منه ما نزال نسمعها من العامة ؛ مثل : مَسَك؛ بدلا من :أمْسَك – صَحَّ؛بدلا من : أصَحَّ، في:(أصَحَّ الله بدنك) – صَحَت السماءُ[١٨٤] فهي صاحِية، بدلا من أن يقال :أصْحَتْ ؛فهي مُصْحِيَة. و هم يقولون : جَبَرت فلانا علي كذا – فاق فلان من عِلّته . و الصحيح أن يقال :أجبرته – أفاق .[١٨٥] وذكر ابن أبي السرور أنهم كانوا يقولون : فلان ردَ لي ؛بمعني :معين،و ناصر .و الكلمة أصلها: "ردْءٌ". و هي المستعملة في قوله ،تعالي :"...فأرْسِله معِيَ ردْءًا ، يُصَدِّقُني".[١٨٦] فتخفف العامة من همزة الكلمة ؛ليستعيضوا عنها بتضعيف الصوت السابق عليها .و هو ما نسمعه منهم الآن.

٢- و فيما يتوقف المعني فيه علي الهمز و عدمه ، يعرض ابن السّكيت لما يلي:

- قال :" يقولون : قد رَوَأتُ في هذا الأمر ؛ مهموز. و قد رَوَيْتُ رأسي بالدُّهن".[١٨٧] و العامة عندنا ينطقون بالأمر من الفعل الأول مهموزًا ؛ فيقولون لمن يكون في ضِيق أو شِجار، ونحوهما :(رَوَّأ). و هم يعنون بالفعل أن يعود المخاطب به إلي حال الصفاء، بعد أن يُزيل عنه ما يُشبه الكُدْرة التي تعكر الماء ،أو الشراب! و علي ذلك يكون الفعل مشتقًا من "الرَاوُوق" الذي يُصَفّي به الشراب.[١٨٨] وعلي هذا تكون القاف قد أبدلت همزةً، علي ما يحدث كثيرًا في نطق العامة لهذا الصوت.

و لعل هذا الفعل المهموز ، في الأصل ، كان يستعمل ، في بداية الأمر ؛ ليطلب به التدقيق في الأشياء، و إجالة الفكر؛ لأجل أن تزُول أسباب الكُربة ، أو الضّيق الذي يعتري الشخص. ثم إنه حدث أن اشتبه الفعلان: المهموز، وغيره ، علي الناطقين من العامة، ثم تغلب معني الثاني علي الأول ،و إن كان ثمَّة علاقة واضحة بينهما .

- قال:" و الخَبْءُ: ما خُبِيءَ. خَبَأت الشيء أخْبَؤه. و قد خَبَت النارُ تَخْبُو خُبُوًا: إذا ذهب لهبها".
- قال :" وتقول : قد قرأت القرآن ... و قد قرَيْت الضيفَ، و كذلك قرَيْت الماءَ في الحَوْض... ".
- " و قد كَفأت الإناء أكْفؤه ؛ فهو مَكْفُوءٌ: إذا قلبته ؛بغير ألف. قال أبو يوسف: و زعم ابن الأعرابي أنّ أكْفأته لغة. و قد كَفَيْتُه ما أهَمّه".[١٨٩]

٢- الإبدال

لا شك أن للإبدال دورا كبيرا في التطور اللغوي .إنه يفصل بين اللهجات ، و يميز بين النواحي و الجهات . وقد عُرف التميميُّون ،قديما ، بالميل إلي بعض الأصوات المفخّمة ، كما ظهر من نطقهم للفعل"فحص" مسنَدًا إلي تاء الفاعل هكذا:(فحَصطُ) . و هو ما لم يؤخذ به في اللغة المشتركة، و كما في نطقهم (قافورًا) بدلا من "كافورًا" في (٥ / الإنسان).و جاء ذلك في قراءة ابن مسعود . كذلك جاء فيها ،محاكاةً لاختيار التميميين النطق بالمفخَّم من الأصوات ، علي ما في نطقهم (قُشِطت) بدلا من "كُشِطت" في (١١ / التكوير).

و قد عُرف الإبدال في اللغة الفصحي مجسّدًا لنا غير نطقٍ واحد لبعض المفردات؛ تبعًا لتغير بعض أصواتها لتأثره بمجاوره . و قد حُفظ لنا ذلك شواهد للتباين اللغوي حسب بداوة الناطقينْ و تحضرهم . و مثلت لنا قراءات القرآن الكريم صحيحة وشاذةً هذا التباين تمثيلا واضحا . إننا نجد اختلاف القراء في مثل " يَبْسُط – مُسَيْطِر" بين نطق اللفظتين بالسين و الصاد ، وميل بعضهم إلي نطق الصاد من "أصْدق" في (٨٧/ النساء)مشرَبةً بالزاي .(١٩٣) و ألقاب اللهجات العربية ، التي ارتفعت لغة قريش (الفصحي المشتركة) عن أن تشبهها ، أو أن تأخذ منها – تشير كثيرًا إلي الإبدال في الأصوات . نلحظ ذلك فيما تعنيه كلٌّ من : العنعنة – الفحفحة – الاستنطاء – الشنْشَنة – العَجعَجة - الطمطمانيّة – الوَتْم.

و كثيرًا ما نجد تقارب معاني الكلمات ذات الأصوات المتقاربة ، و الأبنية المتماثلة . و المرجَّح أن هذه قد حدث الإبدال بين أصواتها ، و اختصَّت كل صيغة أو بناء بمعني ، و إن كان ثمّة معنًي عامٌّ يجمع بينها . و هذا ما يمكن أن يكون صادقا علي مثل الأفعال :نَعْنَع ،و دَغْدَغ، و سَعْسَغ،و زَغزغ.(١٩٤)

و لعل هذا يشهد بما للإبدال من أهمّيّة في حياة اللغة ، وتوالي المراحل التي تمرّ بها ألفاظها ،متطوّرةً علي الألسنة في النطق وحدَه ،أو مع نشوء معني جديد ،يضاف إلي ذلك التطور النطقي .

و سأعرض ، فيما يلي ،أمثلة من كلام العامة ، وقع فيها إبدال لبعض أصواتها المدوّنة بها في معجمات اللغة و كتبها ؛ ليحل محلها غيرها من الأصوات . و يكون ذلك بسبب من مناسبة الصوت المبدَل لذلك الذي حلَّ محلّه؛ لمقاربته له في المخرج، أو الصفة. وقد يكون الصوتان مشتركين في المخرج . وكثيرًا ما يكون ذلك سببا في التباس حقيقة الصوت علي العامّة،أو تهاونهم في نطقه النطق الصحيح. و هو ما يفضي إلي هذه المفردات المبدَلة فيها

علي أنه يبدو أن كل صيغة بقيت في أفواه قوم دون غيرهم ،أو أنهما ظلتا مستعملتين ، مع اختصاص إحداهما ببعض معني ليس للأخرى ، علي ما سجّله القاموس عن "العُثُلّ".(١٩٨)

فإذا عدنا إلي كلمة:(عَثاولة) عند العامة – فانا يمكننا القول إن أصلها "العِثْوَل". و قد استبدلوا بثائها تاءً، وجمعوها علي مثل "صَيَارفة" جمع "صَيْرَف". و قد اختاروا التحوّل بالثاء المثلثة إلي التاء ، مثلما فعل العرب قديما ، عندما عبّر عن معني الصيغة ،أو ما يقرب منه ، بصيغة أخري حدث فيها هذا التغيير للحرف .

و قد أشار الصغاني إلي "بني عِثْوارة" الذين هم حيٌّ من كنانة ، و أرجع سبب تسميتهم بذلك إلي قوّتهم . فهم كانوا أولي صبر و خشونة في الحرب.(١٩٩)

ولئن كانت "عِثْوارة" ترجع إلي الجذر "عتر" ، فانا نجد ما يجمع بين معناه العام وبين معني كلمتي "عِثْوَلّ" و "عُثُلّ". إن ذلك الجذر يجمع بين معاني المفردات المأخوذة منه دلالتها علي الشدة أو القوة المادّية و المعنوية ، و بلوغ الشيء منتهاه في التأثير.(٢٠٠) و قد رأينا تعليل الصغاني لاسم هذا الحي من كنانة. و لا يبعد أن تكون "عِثْوارة" قد جاءت ممّا تطورت إليه "عِثْوَلّ"؛ إذ يبدو أنه قد جاء منها "عَثْوَر – تَعَثْوَر".(٢٠١)

كذلك يقول العامّة:(اللَتّ) ؛ يريدون : كثرة الكلام ، أو الثرثرة .

جاء في "القول المقتضب":" يقولون :اللتّ. يقولون ذلك بالتاء . و الصواب: اللث . قال في القاموس : اللثُّ، و الألثاث ، واللثلثة: الإلحاح".(٢٠٢) و قد ذكر صاحب تاج العروس دلالة الكلمة الأولي علي الإلحاح صراحةً. و ذكر لها دلالات ثلاث معنوية ، و واحدة حسّيّة ، تقترب كلها من هذه الدلالة الأولي ، و تؤكدها . و هي – علي الترتيب - : الضعف – الحَبْس – عدم إبانة الكلام . أمّا الدلالة الحسّية فهي التمريغ في التراب . ويستشهد عليها بقول الكُمَيْت:

لطالما لثلثت رَحْلي مطيّتُه في دِمْنَةٍ ، و سَرت صَفْوًا بأكدار(٢٠٣)

- **كذلك تبدل الثاء سينًا. و عامّتنا ينطقون بكلمة (المَلس)**،يريدون به ما تلبسه المرأة علي رأسها . و الكلمة – فيما أري – محرّفة عن "المَلاث".والكلمة علي وزن"مَفْعَل"من الفعل "يَلوث" بمعني :يلفّ، أو يُدير. و من معاني "اللَوْث" في "القاموس" عَصْب العمامة. و شهيرٌ بيت ابن خفاجة:

يَلوثُ عليه الغَيْم سُودَ عمائمٍ لها من وَميض البرْق حُمْرُ ذوَائبِ

و فيه الفعل "يلوثُ" يصف به ما فعله الغيم بالجبل .

و ذكر ابن الأنباري أنّ "المَلاث" تعني : الالتحاف بالإزار.(٢٠٤)

و قد جاء في اللسان أن في نوادر الأعراب قولهم :" به عُفَاشَة من الناس ، و نُخَاعَة ، و لُفاظة .يعني :من لا خير فيه من الناس". و ربما أشعرنا المصدر المستمدّة منه الكلمة بشيء ممّا حكمنا به عليها من قبل.[٢١٥] وربّما أكد هذا ذكر ابن أبي السرور استعمال المصريين كلمة (عِفِش). وقد اعتمد علي ما جاء في القاموس لإجازتها.[٢١٦] و ما ذلك إلا لأن هذا الكتاب ، و أمثاله ، يُعنَي فيه – غالبًا – بما يُري بُعْدُه عن الذيوع و الانتشار، أو الفصاحة و علوّ المستوَي.

لقد وردت مادة (عفش) في اللسان ، والقاموس ، واستقي المعجم الوسيط – حديثا – ما جاء فيهما. قال في القاموس:"عَفَشَه يَعْفِشه :جمَعه .و هؤلاء عُفاشَةٌ من الناس ؛بالضمّ،و هم من لا خير فيهم..و الأعْفَش:الأعمش".[٢١٧]

علي أن الأمر هنا ، و في مواضع كثيرة مشابهة ، يمكن أن يحتمل أن نربط بين مادّتين ،أو أكثر ، علي ما سبق ، في أول حديثي عن الإبدال ؛ وذلك لما يُرَجّح من وجود علاقاتٍ بينها ؛ للتقارب الصوتي و المعنوي . وهو ما رأيناه في "نَفَش" و "نَفَج". و هو ما يمكن أن يربط بين هذه المادّة :"عفش" و مادّة"عَفَجَ". فربما كانت (عِفِش) علي ألسنة العوامّ تطوّرًا لـ "عَفَج"التي هي واحدُ الأعْفاج للإنسان في مقابل "المصارين" لذوات الخُفّ و الظِّلْف و الطير . و عند ابن الأعرابي أن واحد الأعفاج عُفْج؛ بضم فإسكان. و واضحٌ أن كلاً من الجمع و المفرد لا يستعملهما عوامنا ، بل يستعملون كلمة "مصَارين". و هي – كما رأينا – تستعمل ،في الفصيح،لغير الإنسان . و الكلمة جمع ،مفرده:مصير،أو مُصْران. و هم يستعملون هذه الأخيرة لجزء من الأمعاء ؛ فيقولون :المُصْران الغليظ ، و المصران الأعور ، من الأمعاء الدقيقة.أمّا في الاستعمال الفصيح ، فتأتي كلمة "الأمعاء". و لا يعرف مفردها "مِعًي". وقد استخدمه الشاعر الجاهلي قديما؛ إذ قال، مصوِرًا مدي ما لحق جسمه من الهُزال لمعاناته من انعدام الطعام ، وقلّة ذات اليد : ... فقد نَشَزَ الشُرْسُوفُ ، و التَصَق المِعَي ...[٢١٨]

إذن فكلمة "عَفَج" يمكن أن تكون أصلا لـ (عِفِش) ، بعد أن صارت الجيم شينًا ، مع كسر الحرفين الأول و الثاني . ويكون من وراء هذا السلوك ميلهم إلي التخفيف ، باستبدال الصوت البسيط بالمركب ، في آخر الكلمة ، والتحول نحو الكسر ، في أولها، علي ما تميل اللغة إليه في تطورها ، ثم المماثلة بين الحركتين . وهو ما نلاحظه كثيرًا في كلام العامّة.

و لعل العامة قد ربطوا بين ما قد يصيب المرء من الصدمة عند رؤية "الأعفاج" أو "الأمعاء" إثر معركة ، أو حادث ، أو ما إليهما ، و بين سوء منظر هذا الذي يسمّونه بأنه (عِفِش).

- **إبدال الجيم كافًا:**

نحن هنا أمام ما يُدْعَي بالجيم القاهرية،و قد صارت كافًا. و يجمع بين الاثنين صفة الشدّة ، أو الانفجار . غير أن العوام تخفّفوا من صفة الجهر، التي تلزم

و هاتان الكلمتان في "التكملة" للصغانيّ. و استدرك الزَّبيدي علي صاحب القاموس كلمة "الجَرْفسَة "بمعني شدَّة الوَثَاق ، ناقلا عن الأزهري أن كل شيء أوثقته فقد قَمْطرْتَه ، و جَرْفسته . و عامّتنا يستعملون (الكَرْفسة). وفي اللسان أن الكلمة تعني مَشْي المقيَّد .و تَكَرْفس الرجل : إذا دخل بعضه في بعض . وعامّتنا ينطقون بالمطاوع ،مع بعض تغيير يناسبهم .و يتمثل في إسكان أوله ، أو سَبْقه بألف الوصل وكسر فائه.(٢٢٣)

- **إبدال الكاف جيمًا:**

و إذا كانت الجيم قد صارت كافا ، فإن العكس قد حدث أيضا علي ألسنة العوام.

نجد ذلك في تحولهم بكاف " الحَنْكَلة" إلي الجيم القاهرية.

و هم يريدون بالكلمة معني الاقتراب من شيء ، أو أمر ما ، في استخفاف ، أو في إدلال بالنفس. و هو ما فهمته مَمّن يستعملون هذا المصدر ، أو الفعل المأخوذ منه (يتْحَنجِل).

و قد ذكر الشيخ أحمد رضا أن اللبنانيين ينطقون بالمصدر .

قال في كتابه "ردّ العامّيّ إلي الفصيح"(٢٢٤):" و من أمثال العامليّين:أول الرقص حَنْجَلة. و هو من قولهم :تَحَنجَل : إذا تثاقل وتباطأ في مشيه ، مع مقاربة الخُطا. وهو في اللغة "الحَنْكَلة"، مصدر "حَنْكَل" لنفس المعني المراد للعامية . و إبدال العامة جار مثله في الفصيح ؛ مثل قولهم : مَرَّ يَرْتَجَ و يَرتَكَ؛ بمعني : يهتزّ، و ألوك و عَلوك وعلوج،و هو ما يؤكَل و يُتَعَجَل به . حكاه يعقوب. و الجيم و الكاف يتعاقبان في مثل أهْوَج و أهْوَك".

و ممّا صارت فيه الكاف جيما ما نسمعه من قولهم : فلان (جِبلَ) أو (جِبلة).

و أصلهما :"كُبُنّ – كُبُنّة".(٢٢٥) و معني الكلمتين : المنقبض عن الناس ،أو الذي لا تحسُن عشرته. و العامة تستعمل اللفظتين للدلالة علي هذين المعنيين ، أو ما يقرب منهما ؛ و هو ما يفيد السُّخط علي الموصوف بهما.

و قد وردت الكلمة الأولي في القرآن الكريم ، في (٦٢/يس):" و لقد أضل منكم جِبلاً كثيرًا. أفلم تكونوا تعقلون؟" و ربما كانت الكلمة الثانية تعني الخِلقة و الطبيعة. وهي فصيحة، وردت في القرآن الكريم ، في قوله تعالي في (١٨٤/الشعراء): "و اتقوا الذي خلقكم و الجِبلّة الأوّلين".و "الجِبلّ" بمعني الخَلق ، و الأمم ؛ فهي جمع "الجِبلّة".(٢٢٦)

علي أن العامة ربّما استعملوا الكلمة دون إتباعها بالصفة،عندما يتحدثون بها عن بعضهم ،كما سقت أولا. فكأنهم يقصدون : فلان جِبلّة سيّئة،مثلا.وهذا نستطيع أن نقرنه بما يسمع علي ألسنة بعض الشباب ، من مثل وصف بعضهم غيرَه بأنه

أو غيره إذا كان أيٌّ منهما مكروهًا من قِبَل من يتحدّث عنه. وربما كان أصل الكلمة هو الفعل الأول ؛فيكون العامة قد استبدلوا الهمزة بالقاف .

و يقولون :(الدَّلع) و (يدَّلع) بإدغام تاء فعل المطاوعة (تَدَلَّع) في الدال؛يريدون بذلك المشي في تدلل ، أو تباطؤ و تثاقل . و قد يراد بإطلاق الكلمتين الإشارة إلي عدم الجدّيّة و الاعتناء بأمر ما. وجاء في "القول المقتضب" أنهم يقولون (دلاعة)يعنون بذلك الحُمْق و الغفلة.(٢٣٥)

و قد جاء في القاموس :" أحْمَقُ دالع: غاية في الحمق.و أمر دالع :ليس دونه شيء". و فيه أيضا "ناقة دَلوع ؛كصَبُور :تتقدّم الإبل".فغرابة المصدر استلزمت توقف ابن أبي السرور عنده ؛ذلك أنّ الفعل "دَلَع" مصدره :دَلَع ،و دُلوْع.و هو يعني:أخرج. و يستعمل منه صيغة"فعِيل" للدلالة علي السعة ،و السهولة.و يدل الفعل "اندلع" علي العِظم و الاسترخاء. و علي هذا فالمعني الذي أراده المصريون - قديما - بهذا المصدر صحيح ،قد سجلته المعجمات.(٢٣٦)

و علي الرغم من دلالة"الدّلع" علي بلوغ الغاية في الحمق ، و دلالة "الدّلوع" علي التقدّم للغير – وهو ما قد يكون عليه حال (المِدَّلع) لأنه يستلفت إليه انتباه غيره ، وإن كانت الكلمة قد استعملت – قديما – في مجال الحيوان – فإن ثمّة من الدلالات التي يريدها العوام باستعمالهم الفعل ، ما لا توفرها لنا استعمالاته المدوّنة في المعجم.

إن معنيي التباطؤ ،و عدم الجدّيّة ، وان انطويا تحت الاتصاف بالحمق البالغ، وهو ما رأينا صيغة اسم الفاعل من"دَلَع"تشير إليه – ليسا مما يفهم من معاني المادة،المأخوذ منها الوصف مباشرة . وهذا ما يجعلنا نبحث عن أصل آخر للفعل الذي يتكلم به العامة.

جاء في كتب اللغة كلمة "الدَّلح" بمعني " مَشْي الرجل بحِمْله ، و قد أثقله.يقال :دَلَحَ يَدْلَحُ دلحًا و دُلوحًا".(٢٣٧) و قد جاءت صيغة اسم الفاعل في أبيات لابن هانيء الأندلسي ، يصف جيش جوهر المتّجه إلي مصر. يقول :

سَمَوْت له،بعدَ الرّحيل،و فاتني فأقسمتُ:ألا لاءم الجنب مضجع

فلمّا تداركتُ السُّرادِق في الدُّجَي عَشَوْتُ إليه،و المشاعَل تُرْفَعُ

فتَخْرقُ جَيْبَ المُزْنِ،و المُزْنُ دَالِحٌ و توقِدُ موْج اليَمِّ،و اليَمُّ أسْفَعُ(٢٣٨)

- و هذا مثال - و إن كان ذا صلة بإبدال الحاء – فإن فيه إبدالا لغيرها أيضا، و هو يشهد بتلاقي الجذور المختلفة ببعضها ، ويجعل من الصعب القطع بأصالة بعضها ، أو فصاحته ، دون غيره.

يستعمل العامة ألفاظ (البَهْدلة – إثبهْدِل – مبهدِل).(٢٣٩) و يكون ذلك في مقام حديثهم عن المعاناة الشديدة ، أو الإهانة و الإذلال.

و لم تأت أيٌّ من اللفظتين :(وَخْش – وحِش) في "القول المقتضب".

و لعله قد اتضح لنا أن بين الكلمتين ارتباطا معنويا ، يجيز لنا القول بأصالة ما ينطق به العامة ، لولا ما دخله من تحريف في الحركة التالية للصامت الأول ، كما يجيز لنا القول بحدوث الإبدال في الصامت الثاني ، مضافا إليه ذلك التحريف. و ربما كان الأجدر الأخذ بذلك لقربه .

و قد مرت بنا أمثلة رأينا فيها إمكانية أن ترد الكلمة ،ممّا يتلفظ به العامة ، إلي غير أصل واحد ممّا هو مدوّن في المعاجم . كذلك رأينا وثاقة العلاقات المعنوية بين هذين الأصلين – أو الأصول – بالإضافة إلي العلاقة الصوتية بينها، و هو ما وقفت عليه في مراجعاتي للمعجمات حول الكثير من المفردات التي يتلفظ بها العامة ، و يظن أن بها إبدالا غيّرها عمّا ينطقها به الفصحاء.

(هـ) إبدال الدال طاء:

نسمع العامة يقولون : (فلان يطرْأع صوابعه – مشي يطرأع)، يعنون بذلك: أنه يشد أصابعه ؛ ليسمع صوت من مفاصلها، و أنه سار بحيث يحدث صوتا بقدميه.

و أصل (طرْأع) : دَرْأع. ومعناه : فرَّ ، و أسرع من الشدة ؛ تنزل به. قال في "العين":"الدَّرْقَعَة: سرعة المشي. جاء يُدَرْقِع؛أي:يمشي مشْيا شديدا،و المُدَرْقِع في العَدْو". (٢٤٦)

فنحن هنا بصدد تحول الدال المجهورة الشديدة إلي صوت يشترك معها في المخرج اللثوي الأسناني ، لكنه يخالفها في كونه مهموسا. و لعل الذي حدا بالعوام إلي التحول إلي هذا الصوت هو ما يتسم به من وضوح سمعي ، لعله يجعله أكثر دلالة علي المعني. و سوف نقف علي بعض ما يماثل ذلك ، فيما بعد.

و هنا نجد إبدال القاف همزة ، و هو ما درجت عليه لغة العامة ، في عصرنا . و يبدو أنه كان لذلك السلوك اللغوي ما يشابهه قديما إبّان زمن تدوين اللغة ، و هو ما سنتناوله عمّا قليل.

(و) الإبدال بين السين والصاد:

و هذان الصوتان يجمعهما أنهما لثويان ، لكن ثانيهما مطبق الأول . و قد ذكر اللغويون أنهما يصح أن يتبادلا الموقع إذا سبقت أحد أصوات الخاء، و الطاء ، و الغين ، و القاف.(٢٤٧) و هي أصوات مستعلية ، يرتفع اللسان أثناء نطقها نحو سقف الحنك ؛ فيؤدي ذلك إلي تفخيمها. و لا شك أن المناسب أن تصير السين صادا إذا كانت مع أحد هذه الأصوات . وهو ما جاءت به المعاجم في : سَلَق ، و صَلَق .

إن الفعلين يقتربان أحدهما من الآخر في معان عامة ، هي : الإسماع ، و الاكتمال ، و الإيذاء . و يختص أولهما بالدلالة علي : الإيذاء للآخرين بالكلام ، أو

٣- القلب المكاني

القلب المكاني معروف في العربية . وقد وردت عليه مفردات ، منها الأسماء و الأفعال . من ذلك : صواقع بدلا من صواعق، جبذ بدلا من جذب. و يقال:زَقَع الدّيك،و زَعَق:صاح.(٢٥٨)

و قد عرض له السيوطي في "المزهر"(٢٥٩)؛ فذكر اعتبار ابن فارس إياه احدي سنن العرب في كلامها ، و أشار إلي كثرته. وأشار السيوطي إلي إعتماد الجوهري علي مؤلف ابن السكيت في هذا المجال. ثم أخذ ينقل عن الباب الذي عقده ابن دريد في "الجمهرة" لهذا النوع من الكلمات. كما ساق بعضا ممّا رواه غيره كابن الأعرابي ، و أبي عبيد ، و الفارابي ، و ثعلب ، و الجوهري ، و الزجّاجي.

و يلاحظ علي أمثلة القلب التي ذكرها ما يلي:

١- عدم اشتهار الصيغ المقلوبة شهرة نظيراتها التي قد تُرَي أنها تمثل أصولا لهذه الصيغ التي انتابها التحريف بتغيير ترتيب أحرفها. وصدق ذلك علي حوالي نصف الكلمات المأخوذة عن الباب الذي عقده ابن دريد لـ "الحروف التي قلبت". ومن ذلك:ما أيْطَبَه في "ما أطيبه" ، امْضَحَلَّ في "اضمحلّ" ، مَعِيق في "عميق" ، طريق طاسِم ، بدلا من "طامس" ، قاف الأثر بدلا من "قفا الأثر" ، فَهَا فؤادُه بدلا من "هَفا".

و ممّا يصدق عليه ذلك ،ممّا أخذه عن أبي عُبَيْد : أشافَ الرجلُ علي الأمر بدلا من "أشْفي" ، فتل الرجل وجهَه عن القوم : صرفه عنهم ، بدلا من "لفتَه". علي أن "انفتل من كذا" تعبير أدبي نقف عليه في الكتابة الأدبية الرصينة.

٢- ربما شملت الغرابة الكلمات التي هي مواضع القلب نفسها. نجد ذلك متحققا في الأمثلة التالية : سبْسَب و بَسْبَس ؛ بمعني : قفر – ناقة ضِمْرِز و ضِمْزِر :مُسِنة – لقم الطريق و لمَقه.

٣- يكثر أن تكون الصيغ المقلوبة ذات أصل رباعي. و كأنه يراد لبنيتها أن تكون قوية الدلالة علي المعاني. و سوف نري - فيما بعد - ميل العامة إلي التعبير بالصيغ الرباعية.

٤- لا يفوت الباحث المستقرئ لتلك الصيغ ، التنبه إلي انزواء بعضها ؛ ليكون ضمن ما ينطق به العامة وحدهم. و هو ما نجده متحققا في المفردات التالية: شَخْر الشباب ؛ بدلا من شَرْخه. و كنت أسمع من يدعو علي المقصر بأن (يميل شَخْره) – تَزحزَحت عن المكان ، و تَحزْحَزْت. و ربما أنكر بعض عامتنا علي غيره (الحزْحَزَة) التي يمارسها مع غيره ؛ يعني بذلك التضييق – قلقلت الشيء ، و لقلقته. و كنت أسمع نعت غير المتمكن في حفظه القرآن الكريم بأنه (مِلأ لأ) ؛ بإبدال القافين همزة.

٥- لعل الخلاف في قبول القول بالقلب و عدمه ، و الذهاب إلي أن أمثلته تندرج تحت "اللغات" علي ما يري البصريون – إنما يرجع إلي أن نماذج الظاهرة ربما كانت من التباين في مدي الشيوع ، بحيث كان بعضها يتوفر التصرف لكلتا صيغتيه ، أو - علي الأقل – يعرف

- نجد إشارة ابن عبَّاد في معجمه "المحيط"إلي أنَّ" الفعْش:عَطْف الشيء و جمعه أيضًا.و الفُعُوش :مِن مراكِب النساء . و قعَشت البيتَ و البناء و غيرهما.و قعْوَشْت:قوَضت و صرعت.و انقعَش القوم :ذهبوا .و تقعْوَش الشيخُ:كبر. و القعْوَش :الخفيف،و البعير الغليظ. و القعْشاء:الرافعة رأسها".(٢٦٣)

و الصلة واضحة بين (قعْوَش)،و (قعَش) ، و "قشَع" من مثل قولنا:"انقشع الغيْم – انقشعت سحابة الصيف التي كانت في الأفق" عندما نعبر عن زوال أسباب الخلاف ،أو النزاع ، العارض بين طرفين. و الفعل "انقشع" المطاوع يبدو أنه الأكثر شيوعًا في الاستعمالات الفصحي. و ذكر الفيروزآبادي أنَّ "قشَعَ القومَ؛كمَنَع:فرّقهم؛فأقشَعوا،نادر". علي أن قشْع الريح للسحاب ؛ بمعني كشْفه ، أو إذهابه و قشْع الناقة ؛بمعني حلبها – ليس من الاستخدام النادر للفعل ؛ إذ لم يعقب عليه بمثل ما عقب علي استعمال الفعل في مجال الإنسان.

علي أننا قد نسمع من العامّة "قشَع" الشخصَ؛ بمعني :طرَده ، أو أبعده. لكنهم يبدلون القاف كافا، و العين حاءً.

إذن"قعَشَ" هي مقلوب "قشَعَ"، وكلتاهما من فصيح المفردات. علي أن الفعل الثاني أكثر استعمالا في غير مجال تنحية الإنسان ، أو إبعاده.

و قد جاءت صيغتا المطاوعة "انْفعل" ، و "تَفَعْلل" من الفعل الأول. و نحن نسمع من عامّتنا الفعل المزيد المتعدّي بالحرف ، من "قعَشَ". علي أنه جاء مبدَلَ الفاء والعينُ؛ إذ يقولون :فلان (بيكَخْوش) علي كل حاجة. و لا شك أن أصل الفعل (يُقْعُوش) بزيادة الواو ،مع الإبدال المشار إليه.(٢٦٤)

- و في "جمهرة" ابن دريد أن الفعل "رضَبَ" مرغوب عنه ، علي العكس ممّا هو حال الفعل "رَبَضَ".(٢٦٥)
- و في "تاج العروس"أنَّ " القعْضَم؛كجَعْفَر، و زِبْرج:أهمله الجوْهريّ. و هو الضعيف الهرم. وهو بالياء:الضخم الجريء الشديد. و قد تقدّم، أو الشيخ المُسِنّ، الذاهب الأسنان. و هو مقلوب القضْعَم ، الذي تقدم آنفا."(٢٦٦)

و اعتمد بعض الباحثين علي القلب المكاني في البحث عن الأصل الفصيح للمفردات العامية ، كما نفعل هنا . نجد ذلك عند الدكتور عبد المنعم سيد عبد العال في ربطه بين الفعل (ألس) العاميّ المراد به : استهزأ ،أو سخِر من الشخص. فالفعل الذي يستعمله العامة أصله الفعل :"لقَسَ" الفصيح، بمعني:عابَ. يقال :لقَسَه يَلقِسُه ، و يَلْقُسه. و في "الصحاح"أن اللاقِس: العَيّاب ، و اللقس: الذي يُلقب الناس و يسخر منهم. و قد حدث أن قلب العامّة ترتيب الأحرف في الفعل ، و جعلوا قافه همزة؛ فقالوا:ألس فلان علي فلان ؛ أي: تهكم عليه ،هزئ به، و سخِر منه.(٢٦٧)

و قد يكون الأخذ بأصالة كلٍّ من الهمزة ، و ترتيب الأحرف ، في يستعمله العامّة ، أيسر عليهم و علينا ، و أقرب إلي الأخذ به. ٩

- و في "التكملة"للصغاني:"العَنْكَش:الرجل الذي لا يُبالي ألا يَدَهُن ، و لا يتزيّن. و تَعَنْكَشَ: تجَمَّع". (٢٧٠)

و العامة تستعمل المصدر(التعْكشة) من مقلوب الفعل السابق ،قاصدين به عكس المعني المذكور .و هو أيضا مصدر مقلوب الفعل المأخوذ منه الاسم الأول. وهم يعنون به عدم انتظام الهيئة ، أو سوء المنظر للشخص المعين.

- و في "التكملة أيضا :" نَغَزَهم النُّغَاز؛ أي :نَزَغهم النُّزَّاغ. و نَغَزْت بينهم:أغريت". (٢٧١)

و العامة يستعملون (نَغَزُه) – كذا بضم الزاى ، علي ما ينطقون به -. و يقولون (يُنْغُز) فيه ؛ بضم حرف المضارعة ، وعين الفعل . فهم يستعملونه متعديا و لازما. و هو ما جاء عليه في الفصيح ، كما رأينا .

و لعل هذه الصيغة أقل شيوعًا من الصيغة "نَزَغ" المستعملة في القرآن الكريم. (٢٧٢)

- و تستعمل العامّة كلمة (عَبيط) للدلالة علي من كان قليل الخبرة بالأمور ، سيِّء التصرّف حيالها . و ربما فُهم أن لهذه الكلمة صلة بالدلالة علي الدم الطريّ، أو لدلالة الاسم "عَبْطَة" علي الصّغر في مثل قولهم : مات عَبْطَة . لكنّا نجد أن الشيخ عبد القادر المغربي رأي أنَّ هذا الاستعمال جاء علي غير أقيسة العرب . وهو ما يجعل المولّد غير صالح لأن يكون ضمن المعجم ، علي ما رأي المجمع اللغوي بالقاهرة.

فالصحيح أنها مقلوب كلمة "بَعِيط" من الفعل الفصيح:"بَعَط" في الجهل :إذا أبعَد فيه، و أغرق. و مثله الفعل :"أبْعَط". (٢٧٣)

بكَرَتْ عليكَ مُغيرةُ الأعراب فاحفظ ثيابَكَ يا أبا الخطّاب(٢٧٨)

- و جاء في "لحْن العوَامّ" للزُبيدي أن الأندلسيين كانوا يقولون للموضع الذي تحط فيه السفن:(مِينَه). قال :" والصواب : مِينَا ؛ بالقصْر ، و مِيناء ؛ بالمدّ. و القصر فيه أكثر. و هو مشتق من الونَي ، و هو الفُتور و السكون".(٢٧٩)

و عامتنا ينطقون بالكلمة نفسها،كما ذكرها الزبيدي . غير أنهم يكسرون النون للمماثلة لحركة حرفها الأول . و قد تكون الهاء ناجمة عن الوقف. و قد يظنّ خطأً أنها منقلبة عن تاء التأنيث ؛ و ذلك لعدم شهرة غيرها من علامات التأنيث في الشائع من الكلام.

و قد يترتب علي الظاهرة التي نتناولها هنا ما يؤدّي إلي الخلط بين الكلمات و معانيها .

نجد ذلك في نطق العامة للفعل (عِيِيْ). هكذا بكسر الأول و الثاني وإسكان الثالث.-و يريدون بذلك معني: مرض،أو أصابه تعب عُضوي ،أو ما شابهه. و ربما فهمت هذه الصيغة علي أنها تحريف للفعل الفصيح :عَيِيَ عِيًّا ؛بمعْني :قصّر في الأمر ، أو كان غير أهل لأن يقوم به . علي أن هذا المعني لا يرد علي الذهن ، عندما تسمع الصيغة المحرّفة ، بل ينصرف إلي الإصابة بالتعب الجسمي ، أو المرض. و يبدو أن هذا الخلط بين المعنيين قديم. و لذا أشار إليه القدماء ، علي ما جاء في "متن موطّأة الفصيح". قال:

و قد مَشَيَ زَيْدٌ إلي أنْ أعْيَا أي:كَلّ. و هُو بالأمور يَعْيَا

فقل من الأوّل : قدْ أعْيَيْتُ فأنا مُعْي ، عندما مشَيْتُ

و قل من الثاني:عَيِيتُ عِيًّا فأنا بالأمر عَيِيٌّ ، أعْيَا(٢٨٠)

إن الخلط بين الفعلين هنا نابع من حذف الهمزة من الفعل "أعْيَا" الدالّ علي الكلال والسأم ثم كسر أوله ؛ لتتلوه الياء ، أو لنقل : لتتلو العين حركة الكسرة الطويلة ، بدلا من الياء المفتوحة، أو نصف الحركة . كذلك كانت حركة الكسر الطويل هذه بديلا عن الفتحة الطويلة في آخر الفعل (عِيا) المحرّف عن "عَيِيَ". وهكذا التبس هذا الفعل المهموز الأول "أعْيَا"بغير المهموز الأول"عَيِيَ"، أو التبس معني صيغتي "فَعَلَ"و "أفْعَلَ" ببعضهما ،بعد أن حرّف العامة الثانية ،كما رأينا. و هما ، و إنْ كانا يشتركان في جزء من المعني ، و هو:لُحُوق الألم و السأم بالمرء ، إلا أنّ لكل منهما سياقه اللغوي الذي يَرِد فيه ، في اللّغة الفصحى. كما أن لكل منهما صيغة اسم الفاعل التي تدل علي القائم بالفعل ، أو ما يقوم مقام هذه الصيغة ، و يأتي بديلا لها.

و يؤدّي الإسراع بالكلام في منطق العامة لا إلي التخفف من أواخر المفردات و حذفها ، بل إلي تداخلها في بعضها . و هو ما يفضي إلي نشوء مفردات جديدة ، مكوّنة من جزءين أو أجزاء من مفردات أخري .

- قال الخليل في "العَيْن":"أجَنَّكَ" بمعني:أجْل أنّكَ. فحذفت اللام والألف،كما قال الله، عَزّ اسمه:"لكنّا هو الله ربي".معناه ،و الله أعلم: لكن أنا ؛ فحذفت الألف ؛ فالتقت النونان ؛ فجاء التشديد . و في الحديث :"أجَنّكَ من أصحاب رسول الله". أي: من أجل أنك. ومثله لَهِنّكَ لرَجُلٌ عاقلٌ؛ أي :والله إنّك لرَجُلٌ عاقل".(٢٨١)

سمات مميّزةٌ لكلام العامّة

إن المستقرئ لكلام العامة يقف علي ملامح مميزة له عمّا تختص به لغة الكتابة ، وما يختص به المثقفون والأدباء من مفردات وتراكيب . و هذا توقف عند أبرز هذه الملامح ، التي وقفت عليها من استقراني للكثير من المفردات التي تشيع في كلامهم ، بعد مقارنتها بأصولها في الكثير من المصادر اللغوية التي اعتمدت عليها ، و بعض الدراسات التي عرضت لمثل هذه المفردات بالاستقراء و الدرس.

١- استعمال المفردات غير المتواترة الرواية ، أو غير الكثيرة الاستعمال :

مفردات اللغة منها ما كثرت روايته ، و ذكره أصحاب اللغة كلهم،أو معظمهم، و منها ما كان علي العكس من ذلك . و قد توقف السيوطي عند هذا الأمر في كتابه "المزهر". فذكر أن اللغة والنحو والتصريف قسمان : متواتر و مظنون . فالمتواتر ما حدث الجزم بتحققه عبر الأزمنة ، وكان من المعلوم ضرورةً. قال: فنحن نجزم بأن لفظتي السماء و الأرض كانتا مستعملتين في زمنه – صلي الله عليه و سلم – و كذا الماء و الهواء و النار ، و أمثالها ، و معرفة أن حكم الفاعل الرفع ، وأن النصب للمفعول ، و الجر للمضاف إليه ، و أنّ ذلك كان مستعملا قديمًا ، و لم يزل كذلك. وأكثر ألفاظ القرآن ، و نحوه ،و تصريفه من هذا القسم.

و شرط التواتر أن يبلغ عدد النقلة حدًا لا يجوز علي مثلهم الاتفاق علي الكذب. و هذا متوفر لنقلة لغة القرآن ، و متواتر السّنة،و كلام العرب . و اختُلف في العدد بين سبعين ، وأربعين ، واثني عشر ، و خمسة . واختار السيوطي الأول. و قد اكتفي العلماء بالاعتماد علي الكتب المشهورة ، في نقلهم للغة نقلا موثقًا ، يبعد بها عن مظنّة اتهام ناقليها بالكذب.(٢٨٦)

أمّا المظنون فيشمل الألفاظ الغريبة ، التي ينقلها الآحاد .

و من ذلك استعمالهم ما هو أقل فصاحة ، كما في قولهم (نَعْسان) بدلا من "ناعس"،[٢٩٣] و قولهم (متعوب) بدلا من "مُتعَب"،[٢٩٤] و (متْعوس) بدلا من "تاعِس".[٢٩٥]

و يمكننا أن نعد من ذلك ما أخذه ابن الأثير علي المتنبي في استعماله صيغة "فاعل" من "حَلّ" مفكوكة الإدغام في البيت التالي:

فلا يُبْرَمُ الأمرُ الذي هو حالِلٌ و لا يُحْلَلُ الأمرُ الذي هو يُبْرِمُ

والمعروف أن مثل هذا لا يجوز إلا في الضرورة .

و عامتنا يستعملون هذه الصيغة نفسها ؛ ربما لكونها أكثر دلالة علي معناها لديهم ، بالإضافة إلي خفتها في النطق.[٢٩٦]

و سجل ابن الأثير أنّ "من يبلغ جهله إلي أن لايفرق بين لفظة الغُصن و لفظة العُسْلوج، وبين لفظة المُدامة و لفظة الإسفنط ، و بين لفظة السيف و لفظة الخَنْشليل ، و بين لفظة الأسد و لفظة الفَدَوْكَس – فلا ينبغي أن يخاطب بخطاب ، و لا يجاوب ،بل يترك و شأنه".[٢٩٧]

و "العُسْلوج"و "الفَدَوْكَس" كلاهما ممّا يبدو مستغرب الاستعمال في لغة الأدب . و ربما ذهب بنا الظن إلي اشتقاق العامة الفعل (عَسْلج) من الكلمة الأولي للدلالة علي صعوبة الأشياء ، و تأبّي الأشخاص ، و عدم انقيادهم . علي أن ذلك يتضاءل نصيبه من الوقوع عندما يوقفنا المعجم علي أن "العَسْلق" ،و "العَسَلَق" هو كل سبع جريء علي الصيد.و تطلق اللفظة الثانية علي الظليم خاصة.[٢٩٨] و هنا نكون بصدد الاشتقاق من الاسم الأول ، بعد تطورت القاف إلي الجيم القاهرية.

أمّا الفَدَوْكَس – وتعني : الرجل الشديد [٢٩٩]- فهي كلمة ثقيلة علي اللسان و السمع . و هي مستعملة – بإبدال الدال لامًا - علمًا .

ويندرج تحت غير المتواتر، و غير الشائع كثير مما ذكره ابن الحنبلي في كتابه "بحر العوّام فيما أصاب فيه العوامّ". وفيه ما يتصل بالتخفف في نطق أصوات بعض المفردات ، بالحذف ، أو التغيير في الصوامت ، أو الحركات للمماثلة ، أو غيرها ؛ لكون ذلك – فيما يبدو – هو الأنسب للمستوي اللغوي المدروس . وقد أورد ابن الحنبلي ما يشهد لصحته اللغوية ، وإن كان بعضه غير شائع شيوع غيره مما يستعمل كثيرا في لغة الكتابة و الأدب . والكثير من هذا الذي جاء عند ابن الحنبلي ما يزال عامتنا يستعملونه.[٣٠٠]

(ج) و من الميل إلي السهولة اختيار صيغة التأنيث المألوفة ، كما نجد في صنيعهم مع"الحَوْجاء – السِّحْناء" بمعني : الحاجة ، الهيئة[٣٠٦]؛ إذ تصيران : الحُوجة – السِّحْنة.

(د) و من ذلك اختيارهم إسكان أواسط الأسماء الثلاثية ، بدلا من تحريكها، كما في نطقهم (كِرْش) بالإسكان ،بدلا من "كَرِش" في الفصيح.[٣٠٧]

و قد توقف الأستاذ محمد العدناني عند تخطئة الفارابي و غيره لإسكان نون مصدر الفعل"خنَق" ، و اكتفاء بعض المعجمات بذكر المصدر "خَنِقا". وعقب بأن المصدرين – خَنِقا ،و خَنْقا – أجاز استعمالهما كل من الصحاح – كما جاء بهامشه – و اللسان و المصباح و التاج و الأساس و الوسيط ، و غيرها من المعجمات الحديثة. وقد رأي أن لا يستعمل إلا المصدر ساكن الوسط ؛" لأن استعماله جائز ، ولأن الخاصة و العامة ، في البلاد العربية كافة يسكنون النون "الخَنْق"، ولأن المصدر"فعِلا"نادر الوجود...، و لأن المصدر "فَعْل"...كثير جدا ، علي أن لا نخطيء من يستعل "خنِقا".[٣٠٨]

(هـ) و قد مرّ بنا تناول مظاهر التطور الصوتي . و الرأي أنّ الكثير منها يقف وراءه الميل إلي اختيار جانب التيسير ، و الاقتصاد في الجهد العضلي أثناء النطق. يتضح ذلك في التخفف من الهمز ، و في كثير من مظاهر الإبدال ، و القلب . و لا يستثني منه تآكل الكلمات و تداخلها ، و إن كان من ورائه - بالإضافة إلي الاهتمام بالتيسير – سرعة النطق ؛ مما يستتبع عدم الاعتناء بما تتطلبه نهايات الكلمات و أوائلها من وضوح التلفظ بها ، فضلا عن إعطائها قيمتها النطقية الحقيقية.[٣٠٩]

و لابد من معرفة أنّ هذا الميل إلي التيسير أمر لا إرادي عند المتكلمين ، كما أنه أمر نسبي[٣١٠] ، ينبغي أن لا نقيسه بمقياس غير لغوي . فالمتكلم من العوام كثيرا ما يختار النطق بالتتابعات الصوتية التي لا يتعثر لسانه في الانتقال بين مكوناتها. فان خالف ذلك فلأجل اختيار صيغة يستشعر فيها وضوح المعني و صراحته ، أو حدّته . و كثيرا ما يقف متفحص كلام العامة علي رغبتهم في أن تكون مفرداتهم متسمة بهذه الصفات ، أو بها جميعا. و يستلزم هذا أحيانا سلوك غير طريق السهولة والتيسير ؛ فتستعمل الصيغة المدغم فيها بعض الأصوات ، أو المضاعَفة . و هو ما سنتحدث عنه في النقطة التالية.

٣ – الميل إلى استعمال الأفعال الرباعية ، والمضاعفة:

و يكون ذلك بسبب من كونها أكثر دلالة علي المعاني ، وبخاصة ذلك النوع الثاني ، الذي يرجع ذلك فيه إلي أثر التكرار المقطعي في بنيته . وكثيرا ما تكون الأفعال التي يستعملونها ،من غير ذلك النوع حادّة الدلالة لطبيعة بنيتها الصوتية ، التي يمكن للمرء أن يتمثل مع معانيها ظلالا لها ،ربما كان المتكلم يقصد إليها ، بينما ينتقل لسانه بين أحرفها. و هذه نماذج تعضد ما نقول:

- فهم يميلون إلى استعمال الرباعي ، دون الثلاثي ، إذا اشترك الفعلان في المعنى .

أمَّا الفعل "كَشَمَ" فإنه ذو صلة وثيقة بالمحسوسات . قال في "اللسان" :" كَشَمَ أنفه:دَقه . عن اللحياني.و كَشَم أنفه ، يكْشِمه كَشْمًا :جَدَعه . و الكَشْم : قطع الأنف باستئصال . و الكَشَم: نقصان الخَلق و الحسَب. قال حسّان بن ثابت يهجو ابنه ، الذي كان من الأسلمية: غلام أتاه اللؤْمُ من نحو خاله له جانبٌ وافٍ ، و آخرُ أكْشَمُ ".(٣١٩)

و نحن نسمع العامة يقولون :(كَشَم) لفلان – (اكْشِمُه) - كذا يستعملون الكلمة فعلَ أمر ، متصلا به ضمير المفعول – ومثله :(اشْكُمُه) علي القلب للفعل السابق.(٣٢٠)

و زادت اللغة علي بناء "كَشَم" كما زادت علي بناء "غَذم"؛ فكان لدينا "كَشْمَر". جاء في "اللسان":"كَشْمَر أنفه؛بالشين بعد الكاف :كسره". و لعل في إضافة الراء دلالة علي المبالغة في الفعل ، أو شدته ، أو اختصاصه بالمعني المذكور . و يبدو أنه قليل الاستعمال ؛ لأن صاحب اللسان اكتفي في تناوله بالاقتصار علي إيراد معناه.(٣٢١)

- و العامة يقولون : فلان (يغَطْرَش) علي الكلام ، أو الموضوع ، يريدون أنه يغطي عليه ، أو يحول دون معرفته ، أو ظهوره كما ينبغي.

و في "القاموس": " غطْرَش الليلُ بَصرَه:أظلم عليه . و غَطْرَش بصرُه.لازم متعدٍّ.و التغَطرش:التعامي عن الشيء".

و الفعل مزيد الفعل الثلاثي "غَطَش" ، و إن كانت الزيادة هنا ليست هي الزيادة الصرفية المعروفة ، و إنما هي زيادة بناء، تفيد معني خاصا . علي أنّ هذا المعني قوي الارتباط بمعنيي الفعل الثلاثي ، و هما : الظلمة ، و البطء في المشي لمرض ، أو كبر. و الغَطَش هو العَمَش، و تغاطش : تغافل. و فلاة غَطْشاء:لا يهتدي لها.

و الظاهر أن الفعل الرباعي تعرّض للقلب غير مرة. فالزبيدي يذكر أنّ اسم الفاعل "المُطغْرش" هو مقلوب "المطرغش". قال :إنه بمعني "المُطغْمِش" ، و هو الذي ينظر إليك بشيء قليل من بصره. و قال : إن الجوهري أهمل ذكر الكلمتين الأولي والثالثة. كذلك لم يذكر ابن منظور "المطغرش".(٣٢٢) فهل كان فعلهما ذلك راجعا إلي عدم صحة الكلمتين ، أو عدم فصاحتهما؟

- و العامة يستعملون الكلمات ذات المقطع أو الصوت المتكررين ، علي ما نجد في استعمالهم كلمة (البطيط) ، يعنون بها المعاناة العظيمة من أمر ما. و قد جاءت الكلمة في "العين" بمعني : العجيب من الأمر.(٣٢٣)
- و يستعملون "البَطْبَطة". وهي تعني – كما في القاموس - صوت البط ، أو غوصه في الماء ،و ضعف الرأي.
- و مقلوب الكلمة :طبْطب ، بمعني:صوْت تلاطم الماء و السيل و نحوهما. و الطبطبة:حكاية صوت الماء و نحوه،و حكاية وقع الأقدام عند السير. و لئن كان العوام لا يعرفون هذه المعاني ،فإنهم يستعملون الكلمة الأولي للدلالة علي:مسح الكتف،ووضع اليد علي الظهر تعبيرا عن الحنان والعطف؛و ذلك عندما يقال:طبْطب علي اليتيم. كما يستعملون الثانية (الطبْطبة) للدلالة علي الحنان و التدليل.(٣٢٤)

ومن ذلك استعمالهم (لطشَه) بدلا من "لطثه – لطسه". و الفعلان يدلان علي الضرب ، و الصَكّ ، و الرمي بالحجر ،و ثقل الأمر، علي ما جاء في تاج العروس.(٣٣٢) و هم يستعملون الفعل متعديا بنفسه للدلالة علي الاختلاس ، أو السرقة خفية ، و في سرعة. و هو تطور بالمعني يمكن أن تعين عليه مجمل المعاني السابقة ، أو بعضها . و لا بد من التنبيه إلي أن الجمْع أحد معاني الفعل أيضا. و هذا اللاطث (أو اللاطش) قد جمع مالا أو أخذه ممّن اختلسه منه؛ فكأن الفعل قد ضُمّن معني "سَرَق".

و هم يستعملون الفعل مضعّف الثاني ، متعديا باللام ؛فيقولون (لطّش له) ، بمعني : ضربه ضربا بالغا ، غير مبال بكيفية ذلك. و هو- كما نري - ما يتفق و المعاني الثلاثة الأولي التي سردناها للفعلين "لطث – لطس". و قد زاد العامة التضعيف إلي استعمال الشين بديلة للحرفين الأخيرين.

و إذا كان الجوهري قد أهمل الفعل "لطث" فلم يذكره ؛ فلعل هذا يدل علي قلة شيوعه ، أو أنه من غير الذي رآه صحيحا ، ينبغي أن يضمه معجمه "الصحاح". و قد أخذه الزَّبيدي عن ابن دريد ، و ابن الأعرابي . ولم يذكر ابن أبي السرور أيًا من هذه الأفعال . فهل لم يستعملها المصريون ، علي أيامه ، في أصليها المعجميين ، أو في بنيتيها اللتين نسمعهما الآن؟

والعامة يستخدمون "ذعط"، بمعني:خنقه أشدَ الخنق،كما في "التاج". علي أنهم يستبدلون الظاء بالذال؛تأثرا بالصوت المفخم ، أو المطبق ، في آخر الكلمة. و هو ما لا يخطئه السمع في نطق الكثيرين منهم – بل ربما من بعض المثقفين أحيانا - لأمثال هذه الكلمات. وقد سجل الزَّبيدي الكلمة بالتاء ، في آخرها ،بدلا من الطاء . و هكذا نراهم قد مالوا إلي الصيغة المحتوية علي الصوت المطبق ؛ ربما لاستشعارهم ما في ذلك من إيضاح هذه الصيغة للمعني إيضاحا قويا ، و زادوا إلي ذلك الإبدال في الحرف الأول.(٣٣٣)

و قد علمنا ميلهم إلي استعمال الرباعي. وسنري أنهم يضيفون إلي بنيته المشيرة إلي المعني بانقسامها إلي ما يشبه الكتلتين الصوتيتين اللتين بينهما شبه توقف – يضيفون إلي ذلك إبدال الصوت الأول من الكلمة صوتا مطبقا. نجد ذلك في نطقهم للفعل "دَرْبَأ": (طرْبَأ). و لم يذكر الصغاني إلا مطاوعه – تَدَرْبَأ الشيءُ:تَدَهْدَأ - . و هذا يشهد لاستعمال الرباعي .و قد ذكره في "التكملة". و الفعل – علي ما يبدو- ممّا درجت العامة علي استعماله من قديم. و لعل ذلك هو ما حدا بصاحبي الصحاح و القاموس أن يتركاه ؛فيأتي الصغاني ليذكره في مصنفيه. و العامة يقولون أيضا: (اطرْبَأ) ؛ فيزيد هذا البناء الفعل دلالة علي تصوير ما نجم عن حدوثه. و واضح أنه مأخوذ من صيغة المطاعة المذكورة سابقا،و ذلك بعد أدغمت تاؤها في الدال ؛ لتستبدل بها الطاء ،بعدئذ؛لكونها مطبقة ؛ فتكون أكثر إسماعا ، و أقوي في المساعدة علي تصور المعني .و لا بد من الإشارة إلي أن ابن أبي السرور لم يذكر الفعل في القول المقتضب.

ولقد رأينا ابن سنان الخفاجي ،قديما، لم يستسغ أن يستعمل الكميت كلمة "فدْغَم" في البيت: و أدْنَيْنَ البُرُودَ علي خدود يُزَيِّنَّ الفداغِم بالأسِيل

بها من الثقل ، والإشارة إلي الانتقال بمستوي الكلام إلي غير ما يتطلبه المقام ، أو السياق الاجتماعي .

٦- تصحيح الصيغ المُعَلّة:

نسمعهم ، في الكلام الدارج ، يقولون:(وَرِّيْـه) ؛ بدلا من : أَرَيْـه ، في الفصيح . و كذلك يقولون :(حَوَرِّيه)؛ بدلا من:سأُريه، في الفصيح. و قد سجل ابن الجوزي ما يشهد أن عامة بغداد كانوا يقولون :أَوْرَيْته – أَوْريه.[٣٤٠]

و نحن نجدهم يفعلون ذلك مع الأفعال التي تندرج تحت طائفة "المثال"؛ إذ يُبقون أولها عند المجيء بالمضارع منها . يقولون : (يوْصِف – يوْعِد – يوْفِي – يوْرث) بدلا من :يَصِفُ – يَعِد – يَفِي – يَرث) في اللغة الفصحى. و قد زحف ذلك إلي أقلام الطلاب في الجامعة.

و قد وجدت أنّ بعض العرب كانوا ينطقون:"رَضْيُوا"؛ فيسكن الضاد ، ويثبت الياء،و لا يردها واوًا.[٣٤١] و الفصيح أن لا تبقي هذه الواو بعد ردّها ، و ذلك لوجود واو الجماعة بعدها؛ فتكون الكلمة:رَضُوا . و يشهد ما جاء عن بعض العرب لنطق عامتنا الفعل ؛ إذ نسمع من بعضهم:(رضِيُوا).

و نسمعهم يقولون :(مَعْيُوب) وصفا للشيء يرفضون شراءه. و الفصيح إعلال الياء بالحذف ؛ فيقال:مَعِيب. و عدم الإعلال هنا من لغة بني تميم . و علي ذلك جاء قول الشاعر:

قد كان قومك يحسَبونك سيّدا ° و إخـال أنـك سَـيِّدٌ مَعْـيُونُ

أي:مصـاب بـالعين.و لأجل هذا لـم يوافـق ابـن الحنبلـي الحريـري فـي منعـه استعمال تلـك الصيغة.[٣٤٢]

الحياة[٣٤٥] فإن ثمّة من الباحثين من فندوها ، و دافعوا عن الفصحى ، موضّحين ضرورة الأخْذ بها وحدَها لغة تجمع الشعوب العربية ، و تربط حاضرها و مستقبلها بماضيها ، و تضمن ألفة ألسنة أبنائها لتلاوة القرآن الكريم ، كتاب الإسلام الأول.

و ليست العربية الفصحي غريبة علي أسماع عامة الناس ؛ فهم يستمعون إليها دائما في الخُطب و السيَر و الروايات و القصص ؛ فيَعُون ما يلقي إليهم عن طريقها ، بل يحفظون منه ما يحفظون.[٣٤٦]

إن صعوبة الفصحي في أخريات القرن التاسع عشر ، و مطلع العشرين ، ترجع إلي ما شاب الكتابة من الحرص علي استعمال الغريب ، و انتهاج طريقة القدماء في الكتابة المهتمة بالبديعيات . و هذا ما عمل الكتّاب علي تجنبه ؛ لتخلص الكتابة إلي التعبير عن الأفكار بعيدة عمَّا يعوق فهمها .

و قد جعلت الكتابة النثرية ، في تلك الفترة و ما بعدها تأخذ طريقها نحو الارتفاع بمستواها؛لتبعد عن التردّي الذي كانت قد انحدرتِ إليه ، في نهاية عصر سيطرة العثمانيين علي العالم العربي . لقد كانت المفردات و التراكيب العامية وجدت.طريقها إلي كتابات الأدباء و المؤرخين ، في ذلك الزمن. و هو ما كان مثار نقد الباحثين ، و دافعا نحو الارتقاء بلغة الكتابة و الأدب لأن تستبدل بهذه الأشَابات العامّيّة مفردات و تراكيب فصيحة ، بعيدة عن الغرابة في الوقت نفسه.[٣٤٧] و لعل هذا ما ظهر ، من بعد ، في كتابات مصطفي كامل و الشيخ محمد عبده، و خطب سعد زغلول و مكرم عبيد ، وكتابات المنفلوطي.[٣٤٨]

و في الفترة التي شهدت الدعوة إلي استبدال العامية بالفصحي في الكتابة العلمية و الأدبية – وجدنا من يدعو إلي الاختيار من العامية ؛ لتقريبها من الفصحي ؛ ليكون ذلك وسيلة إلي الارتقاء بالعوام ، و البعد بهم عن الأمية و الجهل ، و جعلهم يأنسون – فيما بعد – بالفصحي و معرفتها ، و مطالعتها . و لعل هذا ما كان يهدف إليه رفاعة الطهطاوي عند تناوله لهذه القضية.[٣٤٩]

و قد شهدت هذه الفترة و ما بعدها الدعوة إلي تمصير اللغة العربية ، بل إلي تمصير الأدب. و هي – و إنْ كانت دعوة حقيقة بالاهتمام – فإنها ينبغي ألا تجنح بنا نحو انقطاع العربية في مصر عن تاريخها ، أو أن تكون غريبة علي العرب من غير المصريين. و قد أخذت لغة الكتابة بهذا ؛ فجعلت تبتعد عن استعمال الأعجمي من المسمّيات الحديثة . كذلك اجتنبت المفردات العامّيّة قدر الإمكان ، بخاصة إذا ما كانت مغرقة في الاتصاف بها . برز ذلك في كتابات محمود تيمور ، و توفيق الحكيم ، و المازني . و يبدو أنهم قد كانوا في طور التجريب لقدراتهم ، و الإعداد لها ، عندما استعملوا العامية في كتاباتهم القصصية ، و غيرها. و كان المازني يستعمل بعض المفردات العامية ، أو ما يشبه أن يكون كذلك[٣٥٠]لاشتغاله بالصحافة. و قد جعله ذلك محتاجا أن يقترب بلغته من أفهام جمهور القراء ، الذين لا شك أنهم متوزّعون بين أعلي المستويات ثقافة و أدناها.[٣٥١]

ما يشهد له القول – قديما – بانتخاب قريش لغتها من بين ما كانت تتكلم به القبائل العربية ؛ لتكون هذه اللغة هي لغة الأدب الجاهلي ، ولغة القرآن الكريم بعدئذ.

إن في مكوّنات الفصحي ما يجعلها قريبة إلي كل لهجة عربية. ولقد سارت في مسار يختلف عمّا تسير فيه اللغات. فلم تكن مراحلها المتعاقبة لتنهي الواحدة منها السابقة عليها ، بل كان الانتقال عبرَها يحتفظ بعناصر لغوية تبقي موازية لتلك الجديدة ، التي أحدثها التطوّر.[٣٥٧] ولأجل ذلك وجدنا الكثير ممّا حسبناه دون ما ينطق به الفصحاء ، أو بعيدا عن أن يتضمّنه الشعر ، و لغة الكتابة بعامّة – قد كان أمره علي غير ما حسبنا. و نحن نجد بعض الغريب ممّا نحسب أن الناس لا ينطقون به في لغتهم اليومية ، قد وجد طريقه إلي هذه اللغة ؛ فإذا العامّة يتداولونه ، علي حين يتوقف الدارسون عنده ليتساءلوا عن معناه ، في دهشة – أحيانا – أن يكون ذلك من مفردات العربية الفصحي.[٣٥٨] و لعله يكون سببا في اتهامها بالصعوبة ؛ لبعدها عما يعتاد الناس التعبير به. و قد ذكر بعض الباحثين أن لغة العامة في بعض جهات الجزائر تحتفظ بالكثير من مفردات الفصحي.[٣٥٩] و ذكر أن اللهجة الأندلسية ، التي ترجع إلي لغة اليمنيين النقية ، أولئك الذين قدموا إلي الأندلس زمنَ الفتح - قد أثرت في لغة البلاد التي نزلوها، بعد جلائهم ، كبلاد المغرب العربي ، و مصر والشام .[٣٦٠] و هذا ما لعله يعضّد القول بأن العلاقة بين العامية و الفصحي -أو الدارج و الفصيح – تشبه العلاقة بين طرفي الحلقة ؛ إذ لا يستطاع تحديدهما. فكلتاهما تغذي الأخري و تغنيها بالمفردات، و المعاني التي تشير إليها. علي أن كفة الفصحي ترجح في ذلك ؛ لحفاظها علي المعجم المشترك بين أبناء العربية جميعهم ، و لصقلها مفرداته بتواتر الاستعمال ، أو غلبته ، علي ألسنة المثقفين و الكتاب و الأدباء ، و أقلامهم.

و ينبغي أن لا يحول استعمال العامة للمفردات دون أن تكون في لغة الكتابة و الأدب ، بخاصة إذا ما سلم من التحريف ، أو كان مقيسا علي كلام العرب[٣٦١]، أو يؤيّده بعض ما روي من أوجه لغوية ، أو لهجية. و هذا ما رأينا ابن العماد الحنبلي يفعله ، في كتابه "بحر العوّام فيما أصاب فيه العوام". و حاكاه في ذلك ابن هشام اللّخمي ، علي ما سبق تقريره.

و ليس مفهوما عدم قبول إدخال بعض المفردات المعجمَ الوسيط ؛ لكونها قد استمدّت جواز مرورها إليه من دورانها علي ألسنة المصريين.[٣٦٢] ذلك أننا نجد فيه ما لا ينطق به المصريون ، بل حتي ما لا يستعملونه في لغة الكتابة. لكنا نجده ، أو نجد بعض المشتقات منه مستعملا في بعض الأقطار العربية الأخري.[٣٦٣] و هنا يبرز شمول المعجم اللغوي العامّ ؛ حيث يتضمّن جمهور المفردات المشتركة بين أصحاب اللغة ، سواء في ذلك المستعمل في فصيح الكلام ، و المستعمل في غيره ، ممّا لم يصبه من التغيير ما هو أقرب إلي التحريف منه إلي طرق الأداء اللغوي التي جاءت بها اللهجات العربية ، و تضمّنتها الفصحي.

و يتفاوت الصنف الثاني بين درجتي السموّ نحو الاستخدام لدي الفصحاء ، و الانحطاط إلي ما دون ذلك. و لعل تصنيفي للمفردات في "القول المقتضب" يتضح فيه ذلك.

و لعلنا - بعد ما مضي - نستطيع تقرير ما يلي ؛ تقريبا بين العامي والفصيح :

فللعامية وظيفتها حقًا ، و هي و إن كانت مباينة للفصحي ، فإنها ليست غريبة عنها. كذلك لا يمكنها أن تقوم مقامها. بل ليس منطقيا أن يحدث ذلك ، تحت دعاوي لم تثبت صحتها ، و لا جدوي الأخذ بمقتضاها ، عند من أخذوا بها. هذا فضلا عن ارتباط العربية الوثيق بالقرآن الكريم ، الذي لولاه لما كانت عربية، علي ما عبر به الدكتور رمضان عبد التواب. و لسوف يظل – إن شاء الله ضامنا لها البقاء ، مع ضرورة ، بل وجوب أن يوليها القائمون علي أمرها ما ينبغي من الرعاية والاهتمام ، و يلتزم بالتحدث بها واستعمالها صحيحة راقية المستوي من قبل الرسميين ،و أصحاب القرار.

بلغت أربعة و ستين مؤلفا . وانظر بحثا في ذلك الموضوع للأستاذ عيسى اسكندر المعلوف في مجلة المجمع اللغوى بالقاهرة ، العدد الأول بعنوان "اللهجة العربية العامية".

(٥) علم اللغة الاجتماعي، د.هدسون٦٢.

(٦) اللغة ،فندريس٣٤١.

(٧) أورد السيوطي كثيرا من المفردات ممّا لم يثبت ، أو مما انفرد به بعض الرواة ، عن ابن دريد و غيره.انظر . المزهر ١ /١٠٣ – ١٥٢، ٢٥١- ٢٥٥.

(٨) من ذلك مثلا ردّه وصفهم "السمك" بـ"المالح" بدل "المِلح" و"المليح". قال إن ذلك مُوَلّد أو من كلام المولّدين الذين لا تقبل لغتهم .

(٩) المزهر، للسيوطي١/ ٢١٦ – ٢١٨؛حيث يورد تعقيباته:زعموا،وليس بالعالي،لا يُعرف،كلام قديم قد تُرك.

وقد ذكر السيوطى كلمة (السّبَد)فيما يُشَكّ فيه لكونه مرويًا عن ابن دُرَيْد . و قد جاءت في "صِحاح" الجوهرى . ففيه (سبد) : ما له سَبَدٌ و لا لَبَدٌ؛ أي:قليل و لا كثير. السَّبَد من الشعر ، و اللَّبَد من الصوف. و تَسْبيد الرأس : استئصال شعره. و التسبيد أيضا : ترك الادّهان. و السِّبْد : الداهية. و نقل السيوطى عن ابن فارس فى آخر حديثه عمّا رُوى ، و لم يثبت ولم يصح مما جاء فى الجمهرة : " لولا حسن الظن بأهل العلم لترك كثير مما حكاه ابن دريد ". المزهر ١١٣/١.ولعل السيوطي كان غير مشكك فى ابن دريد ، بل فيما تحفظ ابن دريد عليه .

(١٠) فى العين ١٠٩/١: "بَأرْت الشيءَ و ابتأرْته ، و ائتبرته ، لغات ، أي : خبأته".ويسمع من العامة قلب أحرف الفعل؛إذ يسندونه إلي تاء الفاعل،قائلين :إبرت كذا،بكسر الأول والثاني . وفيه ١٣١/١:"البَرْطَمَة:عبوس في انتفاخ وغيظ . تقول:رأيته مُبَرْطِمًا ، وما الذي بَرْطَمه ؟" وعامتنا يقولون :يبرطم ،مِبرطم ؛ أي بكسر أولهما . وفي العين أيضا ١٣٣/١:"و بَرّق بعينه تبريقا : إذا لألأها من شدة النظر". والعامة يستخدمون الفعل ؛ فيعبرون به عن حال المشدوه ، أو المنزعج من أمر ما . وفيه ٧,٦/٢:"الدَّبْش : القشْر ،والأكل . يقال :دُبشَت الأرض دَبْشا ؛أي أكل ما عليها من النبات ".ويبدو أن اللفظة قد تُوُسع في مجال استخدامها ؛ فدلت علي تسوية الأرض وتمهيدها ، أو اقتطاع بعض الحجارة منها ؛ ليستعمل في ذلك وغيره. ولعل الاسم هو الأكثر لصوقا باللغة المتداولة الآن .وفي العين ٧/٢:

(٢٠)مقاييس اللغة ،لابن فارس ٧، و تهذيب اللغة ، المقدمة.

(٢١)لحن العامة للدكتور عبد العزيز مطر ٨٠ ، و الظواهر اللغوية في أدب الكاتب لابن قتيبة ، مجدي إبراهيم محمد إبراهيم٦ – ١٤ . و قد أشار إلي استقلالية ابن قتيبة ، و تميز طريقة عرضه للمادة ، وان لم ينتف أمر استفادته من كتاب ابن السكيت . و انظر أيضا:ص٤٦;٤٧حيث يعرض لأسباب تأليف الكتاب ، و مدي شهرته ، و اهتمام العلماء به. و انظر : العربية ، يوهان فك ١٤٠.

(٢٢) من ذلك ،مثلا،ما أشار إليه الزَّبيدي ،في التاج من أن العامَّة تقول:عَرَّس بها،بدلا من:أعرس بها.١٦/٢٥٠.

(٢٣) يذكر – مثلا – أن كلمة (دُباب)مفرد (الدّبّان) . وعامتنا ينطقون بهذه الأخيرة ، بإبدال الذال المعجمة دالا مهملة مشددة . و نستعمل كلمة (دُباب) جمعا لـ (دُبابة). وهاتان الكلمتان نستعملهما في فصحانا المعاصرة.و يذكر "الزُّبَيدي"أن العامة ،علي أيامه،يستعملون (ذِبّانة) و أن هذا غير صحيح . و ما يزال عامتنا ينطقون بهذه الكلمة ، غير أنهم يستبدلون بالصوت الأول دالا مهملة . علي أنه ذكر أن (الدّبّان) ،بالذال المعجمة،هو أكثر الجمع للذباب . أمّا أدني الجمع فهو (أذِبّة). انظر :لحن العامة للزبيدي ،بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ،ص ٨٥,٨٦. وذكر التبريزي تعقيبا علي بيت عنترة : * و خلا الذباب بها فليس ببارح * أن كلمة (الذباب) واحد يؤدي عن جماعة . واستدل بما جاء في سورة الحج ، الآية : "... وإنْ يسلبهم الذباب شيئا ...". وجاء بهامشه عن اللسان أن الذباب : الأسود الذي يكون في البيوت . الواحدة:ذُبابة ، ولا يقال :ذبّانة ؛بتضعيف الباء ؛لأن هذه تقال للأحمر . انظر :شرح القصائد العشر للتبريزي ١٨٧.

و ذكر الزبيدي أنه لا يقال : سمعنا الآذان - أذّن الأولي – أذّن العصر . إنما يقال: الأذان - علي وزن فعال – أذّن – بالذال المعجمة – بالأولي ، وبالعصر. انظر : لحن العامة للزبيدي ٩٩.و نحن نسمعهم أحيانا ينطقون بمثل هذا الذي أنكره الزبيدي .

(٢٤) من ذلك تخطئته أن تجمع (أرض) علي (أراض).وهذا الجمع هو المستعمل لدينا الآن في الفصحي نفسها ،كما نعلم .

وهو يشير إلي قولهم:(وحق المِلح)؛قسما بما يُؤتَدم به،وهو ملح الطعام .لكن العرب أرادت بذلك الرضاع.وهذا يشهد له ما جاء في كلام وفد هوازن علي النبي ، صلي الله عليه وسلم ؛إذ قالوا :" لو كنّا مَلحْنا للحارث أو للنعمان لحفِظ ذلك فينا ".

(٣٠) المزهر للسيوطي ١|١٩٠,١٩١.

(٣١)انظر عن رأي "هكسلي": اللهجة العربية العامية ، عيسي اسكندر المعلوف ٣٥١، بالعدد الأول من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، و انظر:قضية التحول نحو الفصحي ، للدكتور نهاد الموسي ١٩٢,١٩٣.

(٣٢)و إن كان إصلاح الخطأ و الملحون لم نسمع به إلا بعد الإسلام . و عُرف ذلك بجلاء في بلاد العراق نحواً من منتصف القرن الثاني . لكن لا يمتنع أنه كان يحدث من قبل ، وان اختُلف بشأن وجود لغة عامّيّة (أو عامّيّة غير أدبية ، علي الأقل) للعرب قبل الإسلام ، أو قيل إنا لا نعرف عنها شيئاً .و انظر : اللهجات العربية في القراءات القرآنية،للدكتور عبده الراجحي٤٨,٤٩.

و ربما كان من الصحيح القول بتقارب المستويين ، مع اختصاص هذه العامّية بما حدثت به كتب اللغة عن الصفات المذمومة في اللهجات ، تلك التي ارتفعت عنها لغة قريش ، أو لغة الأدب الجاهلي ، التي نزل بها القرآن الكريم ، ونطلق عليها الفصحي المشتركة . و هذه الصفات المذمومة هي : العنعنة ، و الفحفحة ، و الاستنطاء ، و التلتلة ، و اللخلخانية ، و القُطعة ،والكشكشة ،و الكسكسة ، وغيرها . وقد ثبت أن لكلٍّ منها أمثلة ، أو نماذج نطقية في البلاد العربية حديثًا . انظر: فصول في فقه العربية ، للدكتور رمضان عبد التواب ١٢٠ – ١٣٧.

(٣٣) الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ١/١٣٣- ١٣٥.

(٣٤) السابق ١/٩١-٩٤حيث الحديث عن الإمالة،١/٩٤- ٩٦حيث الحديث عن الإدغام و الإظهار و ما يتصل بهما،١/٩٨,٩٩حيث الحديث عن تخفيف الهمز. و إن كان الحديث عن هذا الأخير و ما قبله نجده أكثر استفاضة في مثل كتاب النشر لابن الجزري.

(٣٥) الأشِب : الملتفّ .وقد شرح أبو سعيد السكري (العيص) بأنه التفاف الشجر و قال إن هذا مثل ، و إن المراد :عدد كثير ممتنع علي الأعداء . انظر : ديوان الحطيئة بشرح السكري ط. دار صادر ببيروت ١٩٨١،ص١٥ .و جاء في اللسان/عُيص أن العِيص :منبت خيار الشجر، و السِّدْر الملتف الأصول. و عِيص الرجل:منبت أصله.

(٣٦) ديوان الحطيئة ٢٣٥.

(٣٧) ديوان الحطيئة ٢٣٧.

(٣٨) جاء في شعر زهير بن أبي سلمي: هو الجواد الذي يعطيك نائله

عفواً، ويُظلم أحياناً؛ فيظّلـــم

و ساق صاحب اللسان – في مادة:لوي - بيت الأعشي شاهدا علي استخدام الفعل بمعني المَطْل:

يَلوينَني دَيْني النهارَ،وأقتضي دَيْني،إذا وَقَدَ النُّعاسُ الرُّقَّدا

(٤٨) و ذكر ابن أبي السرور الكلمة الثانية في كتابه " القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب " ص ٦٠ ، بتحقيق السيد إبراهيم سالم ،ط.هيئة الكتاب ٢٠٠٨ . قال: " يقولون : حصلت لفلان هَبْرة لحم . و هو صحيح لغوي ، ورد في مختصر الصحاح أن الهبرة بضعة لحم ، لا عظم لها ، أو قطعة مجتمعة منه ". وذكر في ص٨٨ أنهم يقولون (هَبْصة) للشيء من الدراهم وغيره .و ذكر عن اللسان أن الكلمة تعني الشيء الكثير ، و أن الهبَص:النشاط و العجلة .

(٤٩) الأغاني ٢|٤٩٢.

(٥٠) السابق وفي كتاب "الأفعال" للسرقسطي ٣|٣٢٦:"دَعَث الأرض:إذا وطِئها. ويقال : وجدت أرضا مدعوثة ،مثل مدعوكة ". ونستطيع أن نستنبط ما بين (دعث)و(دهس)و(دعك) من صلة تتمثل فيما بين أصواتها من الإبدال ، وإن بدا ذلك بعيداً في الفعل الثالث . فلعله تنوع لبناء ثنائي الأصل ، جاء حرفه الثالث بعيدا عن أن يقارب الحرفين اللذين غُيّر بهما في بناء الفعلين الأول والثاني . وسنعرض لذلك فيما بعد .

(٥١) لا يمتنع أن تكون كلٌّ من الحاء والباء، في أول الفعل ، قد بقيتا من فعلين ، كانا يستعملان مع الفعل وغيره ؛ لتكون جملتهما حالا من فاعلهما ، ثم انتابهما التقلص الذي أفضي بهما إلي أن يصيرا مجرد حرفين أو مقطعين صوتيين .و الفعلان هما:راح،بقِي.ولعل الذي استبقي هذين المقطعين كونهما غير حركتين ،و لا يشبهان الحركة . أمّا القاف من(بقِي) بكسرتين متتاليتين للمماثلة ؛لما في ذلك من السهولة علي الناطقين – فإنها قد آلت إلي الهمزة ، علي ما هو معتاد في العامية المصرية .ثم حدث أن خُفّفت الهمزة ؛ لتختصر الحركة ؛فتبقي الباء المكسورة في أول الفعل .

(٥٢) إصلاح المنطق ٢٧.

(٥٣) الكتاب ٢/ ٦٧,٦٨.

(٥٤) ذكر ابن أبي السرور الفعل في "القول المقتضب"٨٣ دون إشارة إلي مضارعه ، و وصفه بأنه صحيح لغوي . و قال نقلا عن "الزاهر"إن "النتش كالضرب : استخراج الشوكة و نحوها . و نتشت اليوم كذا و كذا : أي اكتسبت ".

(٦٢) و ذكر ابن السكيت أنه يقال :"ما أقرَفت لذلك : أي ما دانيته ، و لا خالطت أهله . ويقال :قد قرَفت القرْحة أقرفها قرْفًا و كذا : قرَفت الرمّانة . و يقال: قرَفت فلانا بكذا ،إذا اتهمته و نسبته إليه. انظر: إصلاح المنطق ٢٥٩.

(٦٣) هكذا بكسر الميم ، علي ما يميل إليه العامة .و هي في الأصل مضمومة ، علي ما هو شأن المصدر علي وزن "المفاعلة".

(٦٤) القول المقتضب ٥٦،و تاج العروس|نهد . و فيه أن النهوض من قيام عن غير قعود ، أمّا النهود فنهوض علي كل حال.و جاء في "الصحاح"/ نهد- ما ذكره ابن أبي السرور. ويستفاد أن المادة تعني التباري و الامتلاء.و كلاهما يشعر بتخوف تجاوز الحد. و هو ما يطلب المتكلم من العوام من غيره أن يبتعد به عنه بتركه (المِناهدة).

(٦٥) يقصد غزو المسلمين بلاد فارس،مْن قِبَل البحرين،في زمن عمر،رضي الله عنه .

(٦٦) تاريخ الطبري ٢|٥٨١.

(٦٧)الأغاني ٢٣|٧٨٨٩. يريد أن الخيل سريعة الغضب ، أو لا ترعي حقا ولا حرمة . و المِلح هنا : اللبن ، أو الرضاع . و الشّموس من الخيل : الجَموح الذي يمنع ظهره . و(هال)من ألفاظ زجر الخيل ، وهو مقلوب (أهلا) . و (هاب) من ألفاظ زجر الخيل أيضاً، أو هو صياح الراعي بإبله .و ورد البيتان الثاني والثالث في كتاب "الفاخر" للمفضل بن سلمة ، في توقفه عند قولهم : "مِلحه علي رُكبتيه"،و جاء البيت الأول برواية :لا تلمْها؛إنها من أمَـة   مِلحها موضوعة فوق الرُكب

و شرح الجملة :(ملحه علي ركبته) بأنها إشارة إلي سرعة الغضب لأدني شيء ؛ وذلك بسبب سوء الخلق .الفاخر ص ١٢ .

(٦٨)و لعل من الواضح أن العامة لا يلتزمون فتح لام الجر في التركيب الأول ؛ إذ هم يقفون علي الهاء بعدها بالإسكان ، بعد نقل حركتها (الضمّ) إلي هذه اللام. كذلك يختصرون الفتحة الطويلة من (ما) في التركيب الأول ، و في الجزء الأول من التركيب الثاني. و يتضح ذلك في الموضع الأخير أكثر ؛ مما يؤدي إلي إسكان اللام. و لا نجد هذا الاختصار في الجزء الثاني من هذا التركيب. و كأن الإبقاء علي إطالة الحركة هنا ، جاء ليتناسب مع ما يتطلبه الاستفهام من نغمة صاعدة في آخره. وكأنهم بذلك يوازنون بين سرعة النطق التي تطلبت الاختصار ، و ما يستلزمه الاستفهام من طريقة خاصة به في الأداء.

(٧٩)المثل السائر ،لابن الأثير ٩٧/١.

(٨٠)رسالة في غريب اللغة ، محمد بن القاسم الأنباري ، بتحقيق الدكتور عبد الجليل مغتاظ التميمي ١٠٠.

(٨١)معجم فصاح العامية ، لهشام النحاس ٤١.

(٨٢)ذكر الشهاب الخفاجي أن "البودقة" معرّب "بوتة". و جاء في "محيط المحيط" أن "البوطة" بَوْتقة الصائغ ، معرَّب بوتة بالفارسية .ثم قال:"البُودَقة لغة العامة في البُوتَقة" ، و قال:"قول العامة :بَوْتَقة خطأ ، كما في تصحيح التصحيف. و قد اختار مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن يقال لهذا الوعاء البُودَقة ، و البُوتَقة. معجم الأخطاء اللغوية المعاصرة ، للأستاذ محمد العدناني٨٢,٨٣. ولعل الاسم الثاني هو المتداول بكثرة ، مع فتح الباء و إسكان الواو.

(٨٣)يرجع أصل الشيخ المغربي إلي بلاد المغرب. و قد ولِد بالقاهرة في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري ، و توفي بها سنة ١٠١٩هـ. انظر: دراسات وتعليقات في اللغة ، للدكتور رمضان عبد التواب،٨٧، ٨٩، ٩٠.

(٨٤) السابق،٩٤.

(٨٥) ذكر محقق "القول المقتضب" أن الكلمة بهذا الضبط ؛أي بفتح الجيم، تعني:كنانة النشّاب ، كما في القاموس.

(٨٦) ديوان امرئ القيس١٤١.

(٨٧)شرح القصائد العشر للتبريزي٥٧. و ذكر أن حَباب الماء:طرائقه. و بهامشه عن أبي عمرو و ابن الأعرابي أنه أمواج الماء.و قال آخرون: هي النفّاخات التي تري فوق الماء. الواحدة:حبابة.

(٨٨) ذكر ابن أبي السرور معاني "الحَوْبَة"عن الفيروز آبادي في القاموس، و هي:الضعف ، النبت، الأخت ، رقة فؤاد الأم ، المرأة ، السُّرِّيّة.(القول المقتضب ٢٢). علي أن الكلمة عندما تذكر يتبادر إلي الذهن ذكرها في مثل هذا الدعاء المأثور:"اللهمّ تقبّل توبتي ، و اغسل حَوْبتي" ، أو مجيء ما يقرب من بنائها في قوله تعالي :"...إنّه كان حُوبًا كبيرًا"(٢ / النساء). والحَوْب، و الحُوب : الإثم . و الحُوب أيضا: الهلاك و البلاء ، و النفس ،والمرض". انظر: القاموس المحيط (حوب).

(٨٩) القول المقتضب٢٨.

(٩٠)اللسان ، وجب، وراجع العين للخليل٤ /٣٤٨(بترتيب هنداوي).

(١٠٢) من ذلك كلمات (تَفْلِق – سُفْرة – خَسٌ). وقد وردت الأولي علي لسان معاوية ابن أبي سفيان ، يصف بها ألسنة بني هاشم بأنها "تفلِق الصخر".زهرالآداب١/٤٠. و جاءت الثانية في الحديث عن بعض من حضر طعاما لمعاوية ، و قد لفت انتباهه بسبب شرهه. العقد الفريد ١١/٨. وجاءت الثالثة في تقييم أبي جعفر النحاس لأحد الناس ، وقد كان يظنه ذا علم. قال عنه بعد أن سمعه:إنه خَسٌ في نظره. صبح الأعشي (المقدمة).

(١٠٣)القول المقتضب ١٥٠.

(١٠٤)في اللسان/ ملل :"قال أبو هريرة : لمَّا افتتحنا خيبر إذا أناس من يَهود يجتمعون علي خُبْزة يمُلُونها ؛ أي يجعلونها في المَلَّة." ثم ذكر بعدُ أبياتا لبعضهم ، يعدد فيها صفات البخلاء علي الأضياف ؛ فكان منها أن الواحد منهم

صَلْد الندي زاهد في كل مكرمة · كأنما ضيفه في مَـلَّة الـنار

(١٠٥) متن موطأة الفصيح٣٣.

(١٠٦)قال ابن هشام إن الزُّبَيْدي تعسّف علي عامة زمانه ، و خطّأهم فيما استعمل فيه وجهان ، و للعرب فيه لغتان. كذلك كانت لابن مكي أوهام في كتابه "تثقيف اللسان" ؛ فابتدأ كتابه بالردّ عليهما فيما أنكراه. انظر:المدخل إلي تقويم اللسان و تعليم البيان ،لابن هشام اللخمي٩.

(١٠٧) القول المقتضب ٢٨.

(١٠٨) القاموس المحيط (نصب).

(١٠٩)القول المقتضب ٢٨.

(١١٠) السابق ٢٥.

(١١١)في اللهجات العربية ، للدكتور أنيس ٩١.

(١١٢)السابق١٤٣,١٤٤.

(١١٣) لحن العامة عند الجواليقي ، للدكتورة طيبة صالح الشذر، ٢٣، العدد الثاني من المجلد الثالث من مجلة علوم اللغة .

(١١٤) القول المقتضب ٢٢ ، و أشار محققه بهامشه إلي ما جاء في المصباح المنير من أن التشديد يمثل لغة قليلة ، و أن ذلك تعويض عن حذف واو (أبو). و

(١٢٦)و "كابي" هي اسم الفاعل من الفعل "كَبَا ، يكْبُو" إذا سقط ، أو أخفق. و الأصل فيه ،في الفصيح أن يكون محذوف الياء"كَابٍ". و قد جانب التوفيق ابن أبي السرور ، أو الشيخ المغربي ، لربطه بين الكلمة و الكآبة. القول المقتضب ٢٧.

(١٢٧)القول المقتضب ٢٧، و العين ٤ /٣ ، و اللسان والقاموس و الوسيط (كبب).

(١٢٨) العامّيّة و الفصحي في القاهرة والرباط ، للدكتور عبد العزيز بن عبد الله ٢١٥، بالعدد٥٣من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(١٢٩)القول المقتضب ٢١.

(١٣٠)اللسان (ومي)، وقارن بالوسيط . و هو يجعل "وَمَي" لغة في "وَمَأ".

(١٣١)و نجد في "اللسان" أن "العباية" هي الأصل ، و الأكثر شهرة – علي ما يظهر- و أن "العَبَاءة" لغة فيها. وقد صيغ الواحد – العباءة – بإضافة تاء الإفراد إلي آخر كلمة "عَبَاء" التي هي صيغة الجمع.و في "اللسان" أيضا أن الملاءة ؛ بالضم و المد : الرَّيْطة ، و هي المِلحَفة. و الجمع : مُلاء. ثم ذكر عن بعضهم أن الجمع مُلأ ؛ بغير مد، و الواحد ممدود. قال: و الأول أثبت.

(١٣٢) صار تحقيق الهمزة من ملامح الفصاحة ، بعد مجيء القرآن الكريم به. في اللهجات العربية للدكتور أنيس٧٧,٧٨،و بحوث و مقالات في اللغة ،للدكتور رمضان عبد التواب٢٧٣.

(١٣٣)سنعرض لهذا لاحقا ، عند دراسة ملامح التطور التي لحقت كلام العامة . و قد خصصنا الهمز بجزء من هذه الدراسة.

(١٣٤) القول المقتضب ٤٢.

(١٣٥) ففيه :" المُفلِحون"(٥١/ النور، ٩ /الحشر).و ورد فيه الفعل "أفلَحَ" في ١ / المؤمنون . و ١٤ / الأعلي ، و ٩ / الشمس. و قد عرَض للخلط بين الصيغتين أصحاب التنقية اللغوية في عصرنا ؛ لكيلا يختلط اسم الفاعل من الثلاثي، الذي يعني :حَرْث الأرض ، بالآخر من الرباعي "مُفلِح" الذي هو بمعني:ناجح. انظر:عثرات الأقلام ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق٣ / ٨٥.

(١٣٦)القول المقتضب ٤٧.

(١٤٢)المحيط لابن عبّاد ١/ ٣٩(عن مكتبة مشكاة الإسلامية ،علي شبكة المعلومات الدولية). و جاء ت المعاني نفسها للمادة في القاموس . و فيه:لقَعَ لقَعَانًا:مرَّ مسرعا.

(١٤٣)القول المقتضب ٤٦.

(١٤٤)السابق ٥٤.

(١٤٥)القاموس/قدد ،و الوسيط/قدد،قدر.

(١٤٦)القول المقتضب ٥٥. و ذكر أنهم يقولون للفرَس :لهَدَها ، أي:جَهدَها . و لهد الشيء:أكله ، أو لحسه، و لهد فلانا:أي ضربه في أصول ثدييه .و انظر القاموس/لهد. و المادة في العين ١٠٥/٤ تعني:الصدم الشديد في الصدر ، و الدفع في إذلال . و منه:لهَدت الرجلَ ألهَدُه لهْدًا.

(١٤٧) القول المقتضب ٥٨.

(١٤٨)أساس البلاغة للزمخشري٦٨/١.

(١٤٩)القول المقتضب ٥٨.

(١٥٠)جاء في"القاموس"(بهر)أن المادة تدل علي الاتساع ، و الغَلبة ، و المِلْء ، و البُعْد، والكَرْب ، و القذف ، و البهتان ، والتكليف فوق الطاقة ، و العَجَب، و الحُبّ. و روي عن ابن الأعرابي أنها تعني الخيبة،و الفخر.اللسان /بهر.

(١٥١)القول المقتضب ٥٩. و ذكر في القاموس أن الكلمة معرّبة ، و لم يذكرها صاحب اللسان.و جاء في "بحر العوّام" لابن الحنبلي تجويز فتح أول الكلمة، علي غير ما ذهب إليه الحريري من منعه. ذلك أن العرب لم تلحق كل ما عرّبته بأبنيتها. انظر ص٢٠٤من كتاب ابن الحنبلي.

(١٥٢)جاء في القاموس : انهمر الماء :انسكب و سال . و الهمْرة: الدَمْدَمَة بغضب (أي التكليم معه).و هَمَرَ الكلامَ:أكثر منه.و الهَمَرَي؛كجَمَزَي: المرأة الصَخّابة. و هَمَرَ له من ماله:أعطاه.

(١٥٣)القول المقتضب ٦٩.

(١٥٤)التكملة و الذيل و الصلة علي صحاح الجوهري للصغاني٤٤٤/٣.

(١٥٥)اللسان/ولس.

(١٦٧)الوسيط/هسس، و انظر:كلمات في شئون عامة للدكتور منصور فهمي ١/١١٠،مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(١٦٨) الصحاح،و القاموس، و الوسيط (هيس).

(١٦٩) القول المقتضب ٨٢،و القاموس/عيش.

(١٧٠)التكملة للصغاني٣/٤٩٤.

(١٧١)دراسة اللهجات العربية القديمة،للدكتور داوود سلوم ٨٨.

(١٧٢)القاموس،و اللسان/عوز.

(١٧٣)القول المقتضب٦٦.و في القاموس(غمز)أن الفعل "غَمَزَه يغْمِزه" يدل علي شبه النخْس باليد،و الإشارة بالعين والجَفْن والحاجب،و أن الغَمْز بالرجُل:السعي بالشر إليه. كما يعني الفعل ظهور الداء أو العيب. و غَمْز الدابّة: مَيْلها من رجْلها. و التغامز: إشارة بعضهم إلي بعض بأعينهم. و اغتمزه:طعَن عليه. ولابد من الإشارة إلي ذكر ابن أبي السرور استعمال المصريين للفظة"غامِزَة". قال إنهم يعنون بها :فاضت عن الكفاية.و لم أسمعها – فيما أرجح- بهذا المعني . و الواضح أنه معني مجازي. و قد جاء في اللسان و القاموس في(غمز):"غُمَاز" و "غُمَازة" اسمين لبئر،أو عيْن، و نسبت إحدي المسمّاتين بهذا الاسم إلي غُمَازةَ ،من ولد جرير. علي أن العيْن مظنّة الامتلاء بالماء الذي يضطرب فيشعر بفيضه. و كذلك يحمل عليه كل ما زاد عن الكفاية . و لم يشر في "الأساس"إلي الكلمة، و لا ذكر مجازيتها. علي أنه جعل كلا من المَغْمَز و الغَمْز؛بمعني :المَعَاب،و الطعن ،و الاغتماز؛بمعني:الاستضعاف – من المجاز.و كذلك جعل منه الغمز بالعين والحاجب؛بمعني الإشارة. و هو ما يجعلنا نحمل عليه "الغامزة"في لغة المصريين قديما.

(١٧٤)القول المقتضب٦٦.

(١٧٥) في الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي ، ص١٨٢:"الفَدُّ:الواحد. يقال:جاء القوم أفذاذًا،أي:أفرادًا. و هذا شيء فادٌّ : إذا كان نادرا ، لا مثل له". و التاج / فذذ.

(١٧٦) تاج العروس / فزز ١٥/ ٢٧٠, ٢٧١.

(١٧٧)نشرت أكاديمية الفنون كتاب ابن أبي السرور تحت عنوان : "المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغة العرب" عام ٢٠٠٦، بتحقيق هشام

مقصورة ورد في القراءات القرآنية. النشر في القراءات العشر، لابن الجزري١/٤٣٢.

(١٨٥)تقويم اللسان،لابن الجوزي ٧٠، ٧١، ٧٦.وذكر في ص٦٣أن العامة تسقط الهمزة من :أغلقت الباب – أقفلته - أغليت الماء – أعفيت. و لعلنا نلمس ذلك في نطقهم لهذه الأفعال الثلاثة الأخيرة ،و انظر :أدب الكاتب لابن قتيبة ،ص٢٤٣.

(١٨٦)و قرأ نافع و أبو جعفر :"ردًا" بنقل حركة الهمزة إلى الدال، و إبدال الألف من التنوين. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، للبنّا الدمياطي ٤٣٦.

(١٨٧)إصلاح المنطق ١٥١.

(١٨٨)في العين٢/١٦٣:"الرّاوُوق:ناجُود (كأس ، أو إناء مرتفع "تَلّ إناء" كما جاء عن ابن سِيدَه. العين٤/١٩١(الهامش)الشراب الذي يُرَوّق ؛فيصَفّي،و الشراب يتروّق منه من غير عصْر. و الرَّوْق:الاعجاب . و راقني : أعجبني ؛ فهو رائق،و أنا مَرُوق".و في الوسيط: رَوَّق الشراب : صفّاه.

(١٨٩)إصلاح المنطق١٥١، ١٥٢.

(١٩٠)السابق١٥٣ – ١٥٧. و قد اقتصرنا على ذكر الأفعال الشائعة الاستعمال.

(١٩١)و قد انفرد أبو زيد في نوادره بصيغة عزاها لبني كعب بن عبد الله ابن أبي بكر ؛إذ يقولون : رَفَيْت الثوب أرْفيه رَفْيًا. و العرب تقول: رَفَأت الثوب أرْفَؤُه رَفْأ .انظر :الإحصاء اللغوي ،للدكتور أحمد علم الدين الجندي٢٠١ ،بالجزء٢٨ ،من مجلة مجمع اللغة العربية القاهري.

(١٩٢)التطور اللغوي ، للدكتور رمضان عبد التواب٧٦.

(١٩٣)انظر عن تفخيم تاء "فحصْتُ" : دراسات في فقه اللغة ، محمد الأنطاكي ٩١ ، و انظر عن الإبدال بين القاف والكاف : القلب و الإبدال لابن السكيت ٣٧، ٣٨(ضمن الكنز اللغوي)، و عن إشراب الصاد الساكنة صوت الزاي: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، للبنّا الدمياطي٢٤٤.

(١٩٤) جاء في "سرّ الليال في القلب و الإبدال" لأحمد فارس الشدياق:"ثغثغ كلامَه:خلط فيه... و الثغثغة: الكلام لا نظام له،و فعل المتكلم

(٢٠٧)اللسان/ جشش. و ذكر رجزا لرؤبة فيه "الجشيش".و ذكر عن شمر أنّ "الجشيش أن تُطحَن الحنطة طحنا جليلا ، ثم تنصب به في القدر ، و يُلقي عليها لحم أو تمر فيُطبَخ.فهذا الجَشِيش. و يقال لها :دَشيشة؛ بالدال". .و انظر:مذكرة في الأصوات اللغوية ، للدكتور كمال بشر ٦٩ - ٧٣،و هو يصف الجيم الفصيحة ، كما ينطقها مجيدو قرّاء القرآن الكريم ،اليوم ، بأنها صوت لثوي حنكي مركب.و انظر: مناهج البحث اللغوي، للدكتور تمام حسان ١٠٣,١٠٤. و هو يرمز للجيم الفصيحة المركبة بـ (J)، وذكر أن فيه عنصري الـ (gj). و وصفه بأنه صوت غاري مركب ، مجهور مرقق.. و انظر:أثر القراءات في الأصوات و النحو العربي،لأستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين٢٢٩. و أشار بهامشها إلي تحذير سيبويه من النطق بأصوات: الجيم التي كالكاف ، الأخري التي كالشين ، و الكاف التي بين الجيم و الكاف. وذكر أن مخرج الجيم الفصحي بين الجيم الأولي و الثانية. و جاء في شفاء الغليل للشهاب الخفاجي : دشَشْت الحِنطة ، و جشَشْتها . و قد صحّح استعمال العامة لكلمة (دشيش)اعتمادا علي ما جاء عن ثعلب في "المجالس". شفاء الغليل ١٤٣.

(٢٠٨) مجالس ثعلب ١٤/١. و في الصحاح للجوهري :"ربما قالوا : جَحْمَله:إذا صرعه. و الميم زائدة". و جاء "جحفل":"و جَحْفَله:أي صرعه، و رماه. و ربما قالوا :جَعْفَله".

(٢٠٩) العين /٢٨٤/٤.و ذكر (ص ٢٨٥) أن"الهَبْد:كَسْر الهَبيد ؛ أي:الحنظل". و هو ما جاء في "اللسان/هبد". و فيه - في "هبج"- :"هَبَج يَهْبج هَبْجًا:ضرب ضربا متتابعا ،فيه رخاوة. و قيل: الهَبْج: الضرب بالخشب...و هبَجه بالعصا:ضرب منه حيث ما أدرك.وقيل :هو الضرب عامة".

(٢١٠) الكنز اللغوي١٦٠.

(٢١١) اللسان / نفج – نفش.

(٢١٢)تقويم اللسان ، لابن الجوزي ٨٥. ويري الدكتور عبد العزيز مطر أن تحول الجيم إلي شين،في مثل هذا الموضع، راجع إلي مماثلتها لصوت التاء التالي لها في الهمس. و قد علل بذلك نطق أهل صقلية ، علي زمن ابن مكي (٥٠١هـ)،لكلمة "مجتهد" باستبدال الشين بالجيم. انظر كتابه : لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة٢٥٢. و ليس يصعب إدراك أن الذي سهل ذلك لحوق الرخاوة آخر النطق بالصوت الأصلي.

(٢١٣) اللسان / عفج ، غفشج ، و الغريب المصنف لأبي عبيد ٣٧.

(٢٣٠) الأصوات اللغوية ، للدكتور أنيس٨٦.و قد رأي أن تحول القاف إلي همزة علي ألسنة العامة في مصر و الشام ، ليس غريبا ؛ لأن صوت الهمزة مشابه للقاف في الشدة. و قد ذهب الدكتور كمال بشر إلي أن تحول القاف إلي همزة يبدو أنه نطق محلي خاص. مذكرة في الأصوات العربية له ، ص ٥٧، و انظر:أثر الأصوات في القراءات و النحو العربي، للدكتور عبد الصبور شاهين،ص٢٤٧.

(٢٣١) من مقال : لعبة العسكر و الثوار ، لعبد الفتاح علي ، بجريدة الفجر المصرية ، العدد ٢١٥ بتاريخ ٢٠١١/٨/١٠.

(٢٣٢)الأفعال للسرقسطي ، دحق ، دحج ، دعق ٢٩١/٣، ٣٢٥، ٣٢٦.

(٢٣٣) في الأفعال للسرقسطي ٣٢٦/٣أنّ دَعْق الطريق أن تكثر الآثار به لكثرة الوطء. قال الراجز:(يرْكَبْنَ ثِنْيَ لإحِبٍ مَدْعُوق). و دَعْق الغارة:دقعها. و يقال: دعَقته دَعْقا،أي:أجهزت عليه. و دعقت الماء: فجّرته.و دَعَقت الإبل الحوض دَعْقا: إذا خبطته حتي تُثلمه من جوانبه.و هذه المعاني كلها تندرج تحت شدة التأثير المادي في الشيء، علي ما نري. وقريب من ذلك الفعل :دَحَجَ.يقال :دَحَجَه دحْجًا:عَرَكه كما يُعرَك الأديم . قال : و يقال بالذال . وهو أفصح.الأفعال ٣٢٥/٣. و جاء الفعل "دعك" في الأفعال أيضا؛ إذ أشار إلي دَعْك الثوب ،و دَعْك الخَصْم ، بمعني: عَرْكه.٣٢٤/٢. و أرجعه الشيخ أحمد رضا- وهو مما ينطق به عوام لبنان - إلي الأصل "جعك". وفي القول المقتضب/١٣٩: "يقولون :دعك الثوب ،مثلا. قال في الزاهر:دعك الثوب باللُبس:ألان خُشنته،والخصم:ليّنه،وفي التراب:مرَغه ، والأديمَ:دَلكه".

(٢٣٤) الأفعال ٢٩١/٣. و في العين ١١/٢:"الدّحْق:أن تقصر يد الرجل و تناوله عن الشيء. و تقول:أدْحقه الله،أي:باعده عن كل خير. و رجل دَحِيق مُدْحَق:منحًّي عن الناس و الخير".

(٢٣٥) القول المقتضب ١٠٣, ١٠٤، و اللسان/ دلع. و فيه:أحمق دالع:و هو الذي لا يزال دالع اللسان ؛ بمعني خروجه من الفم مسترخيا. وهو غاية الحمق .

(٢٣٦) القاموس/دلع.

(٢٣٧) الغريب المصنف لأبي عبيد ٩٧/١/١(ط.تونس).

٣٨٦) يبدي الراوي دهشته لاختفاء البطل أبي زيد السروجي قائلا:"و لم ندر أين سَكَع و صقع."

(٢٥٠) القول المقتضب ١٢٨، والقاموس / دبق. و قد عرضنا للفعل من قبل في هامش (٨) ونحن نشير إلي بعض ممّا يمثل أصولا لكلام العامة في معجم العين.

(٢٥١) رد العامي إلي الفصيح ، للشيخ أحمد رضا١٣٨,١٣٩.

(٢٥٢)أساس البلاغة ، و الوسيط / لهج ، لهق. و لم يعرض لهما ابن أبي السرور.

(٢٥٣) اللسان/ كحط ،كحف.

(٢٥٤) مميزات لغات العرب ، لحفني ناصف ٤-٦٠

(٢٥٥)تاج العروس / دقس،دكس١٦/٨١,٨٢ ،والوسيط /دقس،دكس.

(٢٥٦)المقاييس/دقس.و سمعت كلمة "الدَّنْقَسَة"من العامة،ينطقونها بالكاف. و ربما عنوا بها عدم الرضا بالشيء المعين ، أو الغضب. و قد يكون هذا شأن من يختلس النظر بمؤخر عينيه ، كما ذكر أنه معني الكلمة. و يفهم من تعقيب ابن فارس عليها أنها من غير الفصيح.

(٢٥٧) المقاييس/دكس.

(٢٥٨)المزهر ، للسيوطي١/٤٧٦.

(٢٥٩) المزهر ١/٤٧٦ – ٤٨١.

(٢٦٠)تقويم اللسان ،لابن الجوزي٧٣. و قد ذكر أن قولهم:(أعرني سمعك) من كلام العامة.

(٢٦١) مسطرة اللغوي للدكتور إبراهيم أنيس ٨- ١١، بالعدد٢٩،من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٢٦٢)الوسيط (كاح) .

(٢٦٣)المحيط لابن عبّاد ١/٢١،و القاموس(قعش).

(٢٧٣) اللهجة المصرية ، للشيخ عبد القادر المغربي ،مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢٩٢/٣ ، و الوسيط /بعط ،و عبط. وفيها يذكر أنّ قولهم :رجل عبيط :أبله ، غير ناضج (محدَثة).

(٢٧٤)الخصائص ،لابن جني٩/٣.

(٢٧٥)فصول في فقه العربية ، للدكتور رمضان عبد التواب١٤٠، حيث يذكر أن القُطّعة نوع من ترخيم اللفظ.

(٢٧٦)العين ٢٩٨/٤، و المثل السائر ،لابن الأثير ٣٠٦/١. و النوّاشر:جمع الناشرة،و هي عصب الذراع، و تُصمِت :تُسكِت،و الجدع:السيء الغذاء . و قد سمّي الشاعر الصبي تَوْلبًا،و هو ولد الحمار.

(٢٧٧) و الجمع الفصيح "أهدام". و يبدو أنه قد صارت له الدلالة المشار إليها لدي العامة ، بعد أن حُمِّلت معني الصفة التي كان يجب أن تتبعها . و يتضح ذلك من العبارة التالية في "الأغاني" ٢٠٨٤/٦: "بينما أنا يوما أمشي ... إذ أنا بإنسان في البستان ، مطروح ، عليه أهْدَام خِلقان".

(٢٧٨)ذكر ذلك أحد الباحثين بمجلة "العرب" التي كان الشيخ حمد الجاسر يصدرها في المملكة العربية السعودية. العدد ٤ /٣٠٠,٣٠١. و قال إنّ (الهُدوم)جمع"هِدْم" عند أهل البدو من العامة . و هو عند أكثر أهل الحضَر منهم جمع لا مفرد له من لفظه . و يريدون به:ثياب المرء ، أو مجموع لباسه . و "الهِدْم" في الفصحي ؛بكسر الهاء: الثوب البالي ، جمعه: أهْدام.

(٢٧٩) لحن العوام ،للزُبيدي ، بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب٧٥. و مما ذكره الزبيدي ، ممّا حذف الأندلسيون آخره :"نِطَع"، و هو الجلد الذي يُبسط للطعام وغيره . قال إنهم ينطقونه (نطا). و هو نطق خطأ لأحدي اللغات فيه ، و هي:"نَطْع". و انظر: لحن العوام ،ص٨٠. و واضح أنهم يحذفون عينه ، أو الحرف الأخير منه، كما فعلوا في(مِيئه). علي أنهم لم يستبدلوا هذا المحذوف بغيره.

(٢٨٠) متن موَطّأة الفصيح٣٥.

(٢٨١) العين ٥٨/١(أجل).

(٢٨٢) القول المقتضب٢٢.

(٢٩٥) درة الغواص ٧٢،و في القاموس:تَعِسه الله،و أتْعَسه ،و رجل تاعس و تَعِس.

(٢٩٦)المثل السائر ،لابن الأثير ٣١٦/١,٣١٧.و قد جعل البيت مثالا للمنافرة بين الألفاظ في السبك ، في اللفظ الواحد الذي يمكن تبديله بغيره ، ممّا هو في معناه، في النثر والنظم. و أشار إلي أنه كان للشاعر مندوحة عن "حالِلْ" بإبدال "ناقِص" بها ؛ و ذلك لعدم جواز الفك في الأولي.

(٢٩٧)المثال السائر ١٧٠/١.

(٢٩٨)العين١٥٦/٣.و ذكر من قبل في (عسلج)أن العساليج عند العامة:القضبان الحديثة.

(٢٩٩)القاموس/دكس.

(٣٠٠) من ذلك كسر حرف المضارعة في مثل "يِشرَب – يِطرب".و ذلك وارد في بعض اللغات،إذا كان الماضي مكسور العين أو الهمزة، نحو:يعلم – تِعلم – إعلم - نِعلم – يستنصر، و الشيء نفسه مع بقية أحرف المضارعة لهذا الفعل. و إذا كان المشهور هو ضم أحرف المضارعة في أبواب:أفْعَل – فعَّل – فاعل – فعْلل – في لغة الحجازيين ، فإنها تكسر في لغة غيرهم . و يكسر حرف المضارعة من مثل:تِعلم. و سمع ابن هشام هذا النطق من بعض البدو. و قرئ شاذًا:"و إياك نِستعين". و هي لغة قيس و تميم و أسد و ربيعة.و روي أيضا أنها لغة هذيل.

و كذلك كسر أول مثل : سعيد – بعِيد. و ذلك جائز في كل ما كانت عينه حرف حلق.و ذلك لغة لبني تميم.و من العرب من لا يشترط لديه وجود حرف الحلق, و عليه فإنهم يقولون:كِثير – كِبير جِليل – كِريم.

و من ذلك الإسكان مكان الإعراب. انظر:ص ١٠٢,١٠٣,١١٠,١١١,١٥٥.

(٣٠١)متن موطأة الفصيح ٣١.

(٣٠٢) المنتخب من غريب كلام العرب ٢/ ٥٠٩,٥١٣,٥١٤,٥١٥,٥٢٤.و جاءت هذه الكلمات بالفتح في أوائل بعضها، و بالضم في البعض الآخر؛ فجاء:البَزْر – الوَلد – مَلك - جَهاز. و جاء:العَضْو – السُفْل – العَلو – الخُلَ – الوُلد، واحدا و جمعا.و القول المقتضب٦٣؛حيث يذكر"جهاز" بكسر أولها.

(٣٠٣)السابق ٥١٣,٥١٥.

زغرد ،و مقابلاتها من الثلاثي :بتر – عرد – غرد.انظر ص٤٨.و انظر أيضا : التطور اللغوي ، للدكتور رمضان عبد التواب ٧٥, ٧٦.

(٣١١)تاج العروس/ مرث.

(٣١٢)في التاج / لثث :"اللثّ و الإلثاث و اللثلثة: الإلحاح". و ذكر أن الفعل : ألثّ عليه إلثاثا : ألحّ عليه ، و لثلث مثله. و اللثّ و الإلثاث : الإقامة. و نقل عن القاموس: اللثلثة:الضعف ، و الحبْس. و اللثلثة : التردد في الأمر كالتلثلث. و ذكر عن أبي عبيد أن اللثلثة :عدم إبانة الكلام.و انظر : القول المقتضب٣٢. و ذكر عبد الفتاح المصري أن (لتلتة)من الكلمات الفصاح في لغة العامة. انظر كتابه (قطوف لغوية)٨٣.

(٣١٣) اللسان /غذمر.

(٣١٤) ديوان ابن هانئ الأندلسي١٩٤.

(٣١٥)درة الغواص١٦.

(٣١٦) معجم فصاح العامية ، هشام النحاس، ٣٣.

(٣١٧) اللسان /غشمر

(٣١٨)سر الليال ، للشدياق ٤٨، حيث يتحدث عن زيادة الراء آخر بناءي "بحث – بعث".

(٣١٩) اللسان/ كشم.

(٣٢٠)في اللسان / شكم أن الشُّكم :العطاء ، أو الجزاء. و ورد في الحديث: اشكُموه ؛ أي:أعطُوه. قال :"و أصله من شَكيمة اللجام. كأنها تمسك فاه عن القول". و قال :"و شكَمه يشكُمه شكْما:وضع الشكيمة في فيه". و الشكيمة من اللجام : الحديدة المعترضة في الفم. و إذا كان ثمّة بعد بين المعنيين ، علي ما نري هنا ، فإنهما قد يزيد اقترابهما بتقرير ابن منظور أن بعضهم قال :"شَكَمَه شكْمًا و شَكِيمًا:عَضّه." و استشهد علي المعني ببيت لجرير.

(٣٢١) اللسان / كشمر.

(٣٢٢) اللسان ، و التاج / طغرش.

(٣٣٣) التاج / ذأت. قال :"ذأته؛كمنَعه: مثل ذعَتَه: خنقه أشد الخنق؛حتي أدلع لسانه ... و معكه في التراب ، كأنه يغطه في الماء،و ذعته:دفعه دفعا عنيفا ، و غمزه غمزا شديدا...و ذأطه ، و ذعطه:إذا خنقه أشد الخنق. و في الحديث :إن الشيطان عرض لي يقطع صلاتي ، فأمكنني الله منه فذعتُه؛أي:خنقته."

(٣٣٤) سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي ٦٠، ٦١،و اللسان،و الصحاح / فدغم (الباحث العربي ، شبكة المعلومات الدولية).

(٣٣٥) في القاموس/ فدغم،جاء الفعل مبنيا للمجهول،بمعني: امتلاء الوجه.

(٣٣٦) لم يذكر القاموس للرّوْش المعني الذي في الوسيط ،بل لم يذكر الفعل.و لم ترد الكلمة في اللسان بهذا المعني في"روش"،بل بمثل ما جاء في القاموس،أو قريبا منه.و فيه في "روس":راس رَوْسًا:تبختر. والرَّوْس:العيْب.و لقد يظن أن العامة أخذوا الوصفين (روش – روشة)من "اللوْثة"؛ إذ يقال:به لوْثة:أي خفة عقل، أو مسٌّ من جنون.قال في القاموس:"اللُّوثة؛بالضم:الاسترخاء،و البطء،والحمق،والهَيْج،و مس الجنون".و لم ترد الكلمتان في القول المقتضب.

(٣٣٧) متن موطأة الفصيح ٢٤، و تصحيح الفصيح لابن درستويه٩١،و هو يشير إلي ما يختاره ثعلب في "الفصيح". و انظر أيضا ص ١٠١,٩٢، و القاموس /وكس.

(٣٣٨)درة الغواص٨٢,٣٧.

(٣٣٩) و صيغة المبني للمجهول ما تزال تستعمل في الدارجة السودانية. انظر:من تجارب تعليم العربية في إفريقية ٢٨.(مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة /٧٢).

(٣٤٠)تقويم اللسان لابن الجوزي٧٠.

(٣٤١)المنصف لابن جني ١٢٥/٢.

(٣٤٢)بحر العوّام ٢٧٦. و لم تأت الصيغة في القول المقتضب.

(٣٤٣)تاريخ الدعوة إلي العامية ، للدكتورة نفوسة زكريا ١١٠,١٠٥,٨٧,٢٩.

(٣٤٤)السابق ١١٧,١١٦.

(٣٤٥)السابق١٠٦

(٣٥٩) لوحظ أن عامية القبائل بالجزائر تشتمل علي نحو ثلث الألفاظ العربية. العامية و الفصحي في القاهرة و الرباط ،للدكتور عبد العزيز بن عبد الله. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٥٣ /٢٢١.

(٣٦٠)العامية و الفصحي في القاهرة و الرباط ، عبد العزيز بن عبد الله ٢٢٣، من العدد ٥٣، من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٣٦١)وهذا ما رأينا بعض اللغويين يأخذون به في القديم ، و يأخذ به المجمع اللغوي القاهري . و ذهب الأستاذ محمد العدناني إلي إيثار الكلمة الفصيحة التي يتفوه بها العامة علي تلك التي لا يستعملونها ، و لا يستحسنونها. انظر :ص (ب) من مقدمة معجمه عن الأغلاط اللغوية المعاصرة.

(٣٦٢)لم يوافق العدناني علي أن يدخل المعجم الوسيط الفعل "حاش" بمعني: منع و أمسك ،في الكلمات المحدثة ،الجائز استعمالها . قال:"و لم أجد معجما واحدا يؤيد الوسيط... و العامة في الشقيقة مصر تستعمل الفعل "حاشه" بمعني: أمسكه. و هو السبب الذي حمل مجمع اللغة العربية بالقاهرة علي ذكره في معجمه الوسيط".معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة ١٧٧. و في رأيي أنه يمكن أن يستفاد معني الإمساك باللص ، أو بغيره، أو معني الحيلولة دون بلوغه غرضه من بعض المعاني التي ساقها للفعل ، و رأي أنها تبعد به عن معناه الجديد.

(٣٦٣)في "الوسيط":"بَزُع الصبيُّ- بَزاعة :صار ظريفا كيِّسًا . و – صار جريئا علي الكلام ، و – صار متناهي الجمال،و – الرجلُ:ساد و شرُف ؛ فهو بزيع،و بُزَاغ".و ذكر – بعده - :"تَبَزّع الصبيُّ:بَزُع، و – الشرُّ:ثار ، و لم يقع بعد". و يبدو أن الفعل معروف ، أو مستعمل في تونس. و جاء الوصف باسم المفعول من الفعل الرباعي في اسم أحد كبار الشخصيات هناك ، و هوالأستاذ فؤاد المبزَّع.

(٣٦٤)كلمة "كُشْك" أصلها فارسي ، و هو : "كُوشْك" ؛ بإسكان الشين وفتحها. و يبدو أن الكلمة عُرِّبت قديما إلي "الجَوْسق" ؛ بمعني :البيت أو البيت الصغير ، و القصر أو القصر الصغير ، و الحصن. و قد جعل ذلك بعض أصحاب المعجمات الحديثة يذهب إلي أن الكلمة الأولي من أقوال العامة. علي أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة أجاز إطلاق الكلمتين" الجَوْسَق – الكُشْك" علي المكان الصغير يصنع من الخشب و نحوه. معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة ١٣٥.

(٣٦٥)و حَلْحَلهم : أزالهم عن مواضعهم ، كما في القاموس. و لم يأت الفعل في الوسيط. و انظر : هامش ١٣٩.

الفصحي ، و الثانية وظيفة العامية ، و إن لم يذكر الباحث ذلك. بل المرجح أنه أراد أنهما يقومان بكلا الدوربن ، أو لعلهما يمكن أن يلتقيا ليكونا ما يشبه زجل بيرم الذي يؤدي هذين الدورين.و هو ما لا نوافقه عليه ، علي إطلاقه.

المراجع

- أباطيل و أسمار ، للأستاذ محمود محمد شاكر ، ط. الخانجي ١٩٧٢.
- إتحاف الفضلاء برسائل أبي العلاء.دراسة و إعداد محمد عبد الحكيم القاضي ، و آخر.ط ١. دار الحديث بالقاهرة١٩٨٩.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، للبنّا الدمياطي ط.أولي ١٩٩٨.دار الكتب العلمية ببيروت.
- الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي.ط. المكتبة الثقافية ، ببيروت ١٩٧٣.
- أثر الأصوات و القراءات في النحو العربي ، للدكتور عبد الصبور شاهين.ط.أولي،الخانجي ١٩٨٧.

- الأثر التعليمي لفنّ الرّجَز، حسن محمد حسن محجوب. ملخص رسالة دكتوراه ، علي موقع جامعة أم القري ، بالمملكة العربية السعودية.
- أدب الكاتب ،لابن قتيبة.ط.أولي ،١٩٨٨،دار الكتب العلمية ، ببيروت.
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، للمقدسي . ترتيب وتنسيق ريان الأندلسي ، علي شبكة المعلومات الدولية.
- الإحصاء اللغوي ، للدكتور أحمد علم الدين الجندي ، العدد ٢٨،من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- أسماء الأصوات في محافظة أسوان بين الأصول الفصيحة و الاستعمال المحلي. الدكتور عبد النعيم عبد السلام خليل.مجلة علوم اللغة ٢/٤.
- أساس البلاغة ، للزمخشري ، ط.٣،بالهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٥.
- إصلاح المنطق لابن السكيت ، بتحقيق شاكر ،و هارون.ط.٤ بدار المعارف ١٩٨٧.
- الأصوات اللغوية ، للدكتور إبراهيم أنيس ، ط. الأنجلو ١٩٩٠.
- الأضداد ،لابن الأنباري، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية ببيروت ١٩٨٧.
- الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، تحقيق إبراهيم الإبياري ،ط.دار الشعب،١٩٦٦.
- الأفعال ،لأبي عثمان السرقسطي ، بتحقيق الدكتور حسين محمد شرف، نشره مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٧٥-١٩٨٠.
- الألفاظ الكتابية ، لعبد الرحمن بن عيسي بن حمّاد الهمذاني . بتقديم الدكتور إميل بديع يعقوب.ط.أولي ١٩٩١ببيروت.
- الأمثال العامية في نجد ، محمد العبودي ، مجلة العرب ، للشيخ حمد الجاسر ، دار اليمامة للبحث و الترجمة والنشر. الرياض ، المملكة العربية السعودية. العدد الرابع ، يناير ١٩٦٩.
- الأمالي ، لأبي علي القالي . دار الكتاب العربي ، ببيروت.(د.ت.).
- بحوث و مقالات في اللغة ، للدكتور رمضان عبد التواب. ط. الخانجي. ط.ثالثة ١٩٩٥.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي.تحقيق محمد عبد الرحيم.ط.أولي ٢٠٠٥ببيروت.
- بحر العوّامّ فيما أصاب فيه العَوّامّ ، لابن العماد الحنبلي ، بتحقيق الدكتور شعبان صلاح. دار غريب بالقاهرة ٢٠٠٧.

- ديوان الحطيئة.دار صادر ،بيروت ١٩٨١.
- ديوان زهير بن أبي سُلمي.دار صادر.
- ديوان ابن هانئ الأندلسي.دار صادر.
- ديوان امرئ القيس.دار صادر.

- رسالة في غريب اللغة ، لمحمد بن القاسم الأنباري . تحقيق الدكتور عبد الجليل مغتاظ التميمي . ط.ثانية ١٩٩٩،عصمي للنشر و التوزيع بالقاهرة.
- الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي ، لأبي منصور الأزهري ، تحقيق د. عبد المنعم طوْعي بشنّاتي ، دار البشائر الإسلامية ببيروت ، ط.أولي ١٩٩٨.
- الزاهر في معاني كلمات الناس ، لابن الأنباري.تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن. اعتني به عز الدين البدوي النجار ، مؤسسة الرسالة.
- سرّ صناعة الإعراب ، لابن جنّي . تحقيق أحمد فريد أحمد.ط. المكتبة التوفيقية بالقاهرة.
- سرّ الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي ، مكتبة مشكاة الإسلامية ، علي شبكة المعلومات الدولية.(نسخة غير مصورة عن كتاب مطبوع).
- سرّ الليال في القلب و الإبدال ،لأحمد فارس الشدياق.المطبعة السلطانية، الآستانة ١٢٨٤هـ.
- شرح القصائد العشر ، للتبريزي. إدارة الطباعة المنيرية ، بالقاهرة ١٣٥٢هـ.
- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، للشهاب الخفاجي . تصحيح و تعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي.المكتبة الأزهرية للتراث ٢٠٠٣.
- الصبح المنير في شرح شعر أبي بصير ميمون بن قيس بن جندل الأعشي و الأعشيْن الآخرين. مطبعة أدلف هلز هوسن ،بيانة ١٩٢٧.
- صبح الأعشي في صناعة الإنشا ، للقلقشندي ، عن شبكة المعلومات الدولية.(نسخة غير مصورة عن كتاب مطبوع).
- الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها ، لأحمد بن فارس ، تحقيق الدكتور عمر فاروق الطباع ،مكتبة المعارف ببيروت ،ط.أولي ١٩٩٣.
- العقد الفريد ، لابن عبد ربه (الجزء الثامن). تحقيق الدكتور عبد المجيد الترجيني ، دار الكتب العلمية ببيروت ،ط.أولي ١٩٨٣.